

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مولود معمري- تيزي وزو
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية



عنوان المذكرة :

سكان الحضر في الجزائر خلال العهد العثماني
وإسهامهم الاقتصادي والثقافي
1519 - 1830م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830م

- من إعداد الطالبتين: - تحت إشراف:

أ. عزيز خيثر

- سوهيلة ريدان

- هاجر برزيق

السنة الجامعية: 2022/2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله عزّ وجلّ على فضله وميّّه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته، وصحبه ومن اتبعه الى يوم الدين.

فالشكر لله الذي امدنا بنعمة العلم وميزنا بالعقل وبارك لنا في مسارنا الى غاية انتهاء هذا البحث.

ومن هذا المقام نقدم الشكر الى كافة أساتذتنا الذين ساهموا في مشوارنا التعليمي، خاصة أساتذة تاريخ الحديث.

كما نقدم من هذا المنبر الشكر الخاص الى الأستاذ المشرف على هذا البحث "الأستاذ خيثر عزيز" الذي تكرم بقبول الإشراف على هذا البحث، وكان نعم الموجه، بحيث لم يبخل علينا بنصائحه القيّمة وتوجيهاته السديدة، وماكان البحث أن يتم لولا ارشاداته .

والشكر موصول الى كل من مد يد العون والمساعدة في اكمال هذا البحث من قريب او بعيد، ونخص بالشكر الأستاذ الدكتور "نور الدين شعباني"، على ماقدمه لنا من توجيهات وملاحظات قيّمة كلما توجهنا له.

اهداء

إلى الذي رغب ولم يرهب وأثار لنا الدروب بالتعقيل لا التعصب
إلى الذي اذا تعثرت في دربي، سلكه قبلي وأمنه كي لا تتعثر لي الخطى
إليه وحده الذي لازال يسندني ويحميني حتى من نفسي...والذي .
يكفيها نص ولم يعلم بانجازاتها العامة الى التي لا يوفيهها حرف ولا
قدمت ومازالت تقدم، أية الحب وأيقونة الصبر لكنها عظيمة جدا عظيمة ما
وأولى الأوطان والمدارس... أمي.
إلى الذين اذا مستني سوء مستهم أضعافه
وإلى الذين دثروني في صقيع أيامي، وتابعوا بشغف خطواتي المتعثرة وشجعوني في كل خطوة
خطوتها وبعثوا في الأمل كلما فقدته
....إخوتي.
الى الظل الوارف في هذه الحياة ، وإلى السند اللواتي يطرق دعائهن الدافئ لي
أقبل عليه ...أخواتي بالتسيير أبواب السماء في كل ما
إلى حبيبتي الغالية جدتي و جدي العزيز أطل الله عمرهما
إلى صديقتي الحبيبة فاني

إهداء

إلى الوالدين الكريمين اللذين يعجز اللسان عن وصف التضحيات التي قاما
بها من أجل رعايتي وتعليمي، وضحايا بالنفس والنفيس لأحقق أحلامي،
يا من كنتما خير سند لي في السراء والضراء.

إلى جدي قدوتي

إلى كل أسرتي

إلى الأساتذة الكرام

إلى كل من دعمني وشجعني على بلوغ النجاح

هاجر

مقدمة

مقدمة:

أحدث انضمام الجزائر للدولة العثمانية مع بداية القرن 16م نقلة نوعية زادت في أهميتها الإستراتيجية لاسيما بالنسبة للدولة العثمانية وحتى للغرب المسيحي، بحيث أصبحت الجزائر قوة سيطرت على البحر المتوسط لثلاثة قرون وفرضت هيبتها ومكانتها ، وأرعب أسطولها أوروبا ، كما ساهم أيضا في ترك أثر واضح على الجزائر نفسها في مختلف مجالات ومناحي الحياة لاسيما على الناحية الاجتماعية لسكانها. إذ عرف هذا الأخير تنوعا في تركيبته، بظهور عدة فئات أو طبقات إجتماعية جديدة أو وافدة، مثل طبقة الأتراك العثمانيين، الكراغلة، الأعلاج، و أندلسيين... وغيرهم. كما ظهرت طبقة الحضر التي كان لها دور محوري في الحياة السياسية الاقتصادية والثقافية لمجتمع إيالة الجزائر، بحيث مارست هذه الطبقة الكثير من المهن والحرف واضطلعت بالعديد من المهام، وسيطرت على التجارة.

إن هذه الأدوار أو الأهمية التي إكتسبتها هذه الفئة جعلت منها فئة تبدو كأنها طبقة بورجوازية غنية تحتل مكانة إجتماعية مرموقة، كان لها إسهامات حتى في الميدان الثقافي من خلال إثراء الجانب العلمي والفني والمعماري وحتى الموسيقي في إيالة الجزائر.

وعلى أساس هذه الأهمية كان اختيارنا لهذه الفئة كموضوع للبحث في مذكرتنا، مدعوما برغبتنا الذاتية في البحث في تاريخ الجزائر الحديث وخاصة الجانب الإجتماعي منه.

ارتكزت دراستنا لهذا الموضوع على إشكالية عامة هي " ما مدى إسهام سكان الحضر في الحياة ، الإقتصادية والثقافية للجزائر خلال العهد العثماني، وهل كان لهذا الإسهام دور في تقديم قيمة مضافة للإيالة؟. وتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات هي:

- ما المقصود بالحضر في الجزائر خلال العهد العثماني؟

- من هي العناصر المشكلة للحضر وما هي أصولها؟

- أين كان يتوزع الحضر؟ ومن هي أبرز العائلات الحضرية؟

- كيف كان إسهامهم في الجانب الإقتصادي والثقافي ؟

ولقد حددنا إطار الدراسة من الناحية الجغرافية على المدن الكبرى للإيالة كمدينة الجزائر، تلمسان وقسنطينة، بينما تركز إطار الدراسة زمنيا بين سنتي 1519م وهي سنة انضمام الجزائر للدولة العثمانية إلى غاية 1830م تاريخ نهاية الوجود العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي .

اتبعنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي الذي يقوم على عدة مقاربات كالوصف والتحليل، بالإضافة إلى استنطاق النصوص المصدرية وتحليلها وإسقاطها على البحث من أجل بناء الحادثة التاريخية ودراستها. فالمنهج التاريخي أساسي لفهم المادة وتحليلها وتمحيصها.

ومن أجل الإجابة على الإشكالية المطروحة وتساؤلاتها الفرعية، فإننا بناء على المادة العلمية المتوفرة قمنا بتقسيم البحث إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة متبوعة بملاحق ذات صلة بموضوع البحث كانت عبارة عن خرائط وجداول وصور، نفصلها كالتالي:

الفصل الأول: تطرقنا فيه إلى طبقة الحضر الذي شمل مفهوم الحضر في اللغة والإصطلاح، التركيبة الديمغرافية والعناصر المشكلة لسكان الحضر وأصولهم العرقية وتوزيعهم الجغرافي.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه لإسهامات الحضر في المجال الاقتصادي، الذي يشمل المجال الزراعي وأهم المنتجات الزراعية والوسائل الزراعية، بالإضافة إلى المجال الصناعي الذي احتوى على أهم الحرف والصناعات التي مارسها الحضر، وكذا دور المرأة الحضرية في النشاط الحرفي وأهم العائلات الحرفية والصناعية. في حين المجال التجاري تناولنا فيه التجارة الداخلية والخارجية.

أما الفصل الثالث فقد سميناه بإسهامات الحضر في المجال الثقافي، تكون من ثلاثة مباحث. المبحث الأول تحدثنا فيه عن المراكز العلمية ومناهج التعليم، أما المبحث الثاني المعنون بالحضر وحركة التأليف عرضنا فيه أهم العائلات الحضرية العلمية في إيالة الجزائر، وحركة التأليف في العلوم النقلية والعقلية. بينما في المبحث الثالث فقد بسطنا فيه الفنون عند سكان الحضر كالفن المعماري والموسيقي والنحت.

إعتمدنا في هذا البحث على مصادر عديدة أهمها: عبد الكريم الفكون في كتابه منشور "الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، وهو من المصادر التي أرخت للعلماء خاصة عائلته ومن خلاله تعرفنا أكثر عن عائلته.

ابن ميمون الجزائري: "التحفة المرضية في عهد الدولة البكداشية"، والذي اعتمدنا عليه لدراسة بعض المراكز العلمية .

حمدان بن عثمان خوجة: "المرأة" اذ تناول تاريخ الجزائر من كل النواحي واعتمدنا عليه خاصة في الجانب الاقتصادي.

وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، الذي أفادنا بشكل خاص في معرفة المعاملات الإقتصادية والتجارية للجزائر.

Albert Devoulx :Les édifices relégieux de l'ancien Alger.

افادنا في إحصاء المساجد.

كما اعتمدنا على مراجع مهمة لرواد الدراسات العثمانية في الجزائر مثل كتاب بعنوان "النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830م)، في معرفة أهم الحرف في الحواضر لناصر الدين

سعيدوني. ولنفس المؤلف اعتمدنا على كتابه المعنون بـ"ورقات جزائرية" الذي من خلال كتبه تعرفنا على الواقع الإقتصادي كونه دراسة مختصة في هذا المجال. وكتاب أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي" الجزء الأول والثاني، الذي تطرق فيهما إلى مناهج التعليم والعلوم العقلية والنقلية.

أما الرسائل الجامعية والدراسات السابقة فقد اعتمدنا على عائشة غطاس في دراستها بعنوان "الحرف والحرفيون" التي كانت ثرية بالمعلومات الهامة، لإعتمادها كثيرا على الأرشيف. بالإضافة إلى دراسة مهمة قامت بها الدكتورة فوزية لزغم بعنوان "البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/1520-1830م)" والتي تناولت العائلات العلمية بالتفصيل .

ارزقي شويتام : " المجتمع الجزائري وفعلياته" استفدنا منه كثيرا كونه اهتم بدراسة المجتمع الجزائري بكل أطيافه.

في بداية إنجاز هذا العمل واجهتنا صعوبات ذات طابع منهجي تتمثل في صعوبة فهم بعض القضايا نتيجة تضارب آراء وتفسيرات بعض المؤرخين، منها تحديد العناصر المشكلة لهذه الطبقة (الحضر)، أين لاحظنا اختلافا كبيرا في تحديدها بين المؤرخين الأمر الذي أربكنا في البداية، ولم ندر من هي الفئات التي سنتناولها ونستهدفها بالدراسة.

يضاف إلى هذا شح المصادر التاريخية المتخصصة في دراسة الحضر -أي التي أفردت هذه الطبقة بدراسة مستقلة- مما جعلنا نشكو نقصا في المادة التاريخية الأساسية التي تعيننا على استيقاء معلوماتنا من مصادرها وليس من المراجع.

في الأخير نتوجه بالشكر والإمتنان لكل من قدم لنا يد العون ودعمنا في إنجاز هذا العمل، بداية من الاستاذ المشرف، وعمال المكتبة المركزية للجامعة، وكل الأساتذة الذين اتصلنا بهم من اجل المساعدة ولم ييخلوا علينا، كما أتوجه بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة في تجشمهم تعب قراءة هذا العمل وتقييمه وتصويب أخطائه انطلاقا من قول الإمام الشافعي رحمة الله عليه: " رحم الله امرء أهدى لي عيوبي".

الفصل الأول: طبقة الحضر

المبحث الأول: تعريف الحضر

المبحث الثاني: التركيبة الديمغرافية والعناصر المشكلة لسكان الحضر

المبحث الثالث: أصولهم العرقية وتوزيعهم الجغرافي

المبحث الأول: مفهوم الحضر

أ- لغة: يقصد بالحضر في اللغة (بفتح الحاء واسكان الضاد).

هي الفئة التي تشمل سكان المدن في مقابل سكان البادية، وهم المولودون في المدن منذ فترات قديمة¹.

والحضر: خلاف البدو، والحاضر أو الحضري خلاف البادي، فالحاضر: المقيم في المدن والقرى والبادي مقيم بالبادية.

فالحضر هو الإقامة والاستقرار في موضع ومقابلها هو كلمة البدو التي تعني الترحال للبحث عن الكلء والماء².

وتعني الحضر أيضا المدينة أو القرية، يقولون فلان حضري: أي من أهل المدن أو القرى. والحضر من الناس هم ساكنوا المدن وأهل الحضر هم سكان المدينة والريف³.

ب- اصطلاحا:

وتشمل هذه الفئة العائلات القديمة التي استوطنت المدينة منذ القدم⁴، ويطلق عليهم تسمية العائلات الحضرية أو العائلات البلدية وهي التي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية ومن انضم إليهم من أندلسيين وأشراف سكنوا المدن الجزائرية الكبرى خاصة الساحلية منها كمدينة الجزائر، قسنطينة، وهران، تلمسان. وسكان الجزائر من البربر أو من الحضر كانوا في أول الأمر هم

¹ - أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 م، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص55.

² - ليلي خيراني: نساء مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة العلوم الإسلامية، م 25، ع2، جامعة الجزائر 2، جوان 2014، ص21.

³ - تعريف ومعنى الحضر في معجم المعاني <http://www.almaany.com> اطلع عليه 23:58 7 أبريل 2023، ص6.

⁴ - عمارة عمر: موجز في تاريخ الجزائر، ط2، دار ربحانة، الجزائر 2002 م، ص107.

البلدية (الحضر) أي أهل البلد¹، ويعني بهم سكان الجزائر الذين كانوا فيها عندما وصلها الأتراك، أي كانوا في فترات سبقت الوجود العثماني ثم انضم إليهم مهاجرو الأندلس وبمرور الوقت.² ألف هؤلاء فئة ميسورة أطلق عليهم اسم الأعيان ظهر فيها ملاك الأراضي، الصناع المهرة، وكبار التجار³.

أما ابن خلدون فيعرف الحضر في المقدمة فيقول: " إذ اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش، وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفة، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها، وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر. ثم تزيد أحوال الرفة وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالات البيوت والصروح وإحكام وضعها...، ويختلفون في استجاده ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو أنية أو ماعون، وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون أهل الأمصار و البلدان، ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع، التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو. فالحضر: معتنون بحاجات الترف والمال في أحوالهم وعوائدهم⁴.

وعلى أنهم سكان المدن والارياف، ولهم جماعة من الناس توقفوا عن حياة التنقل والترحال في البادية واستقروا في المناطق التي توفر فيها الماء والتربة الجيدة الصالحة للزراعة. فامتهنوا

¹ - ليلي تيته: "تطور البيئة للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع 17 ديسمبر 2014م، باتنة، الجزائر، ص138.

² - جون ولف: الجزائر وأوروبا 1500-1830، تر أبو قاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، 2009، ص165.

³ - ليلي تيته: المرجع السابق، ص138.

⁴ - عبد الرحمان ابن خلدون: مقدمة، ج1، ط1، ع1000، دار العرب، دمشق، 732-808هـ، ص ص 244-247.

حرفة الزراعة والتجارة وبنوا البيوت الحجرية واستقروا فيها، كما أن أحوالهم اتسعت وأصبحوا في حالة ترف¹.

في حين ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي يعرفان الحضر على أنهم طبقة تتشكل من المجموعات السكانية بالمدن وتسمى (البلدية)، التي تعود في أصولها إلى الفترة الإسلامية تتكون من أندلسيين وأشراف. تميزوا بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المميز مما جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة الحال يشتغل أفرادها في المهن الصناعية والأعمال التجارية، ويتولون وظائف في السلك القضائي والتعليمي².

أما أبو قاسم سعد الله فهو يعرف فئة الحضر على أنها تشمل سكان المدن، تضم كل من العلماء وأصحاب الحرف والصنائع والكتاب، والإداريين. فهم سكان المدن الأصليون والمهاجرون الأندلسيون كما يشمل كل من استوطن المدن من أهل البادية وتمدن بعد أن كان بدويا³.

أما عائشة غطاس فقد ذكرت في مذكرتها الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر أن مصطلح الحضر يصعب تحديد مفهومه إلا أنه عادة ما يقصد بالحضر أو البلدية سكان المدينة الذين لم يكن من السهل التعرف عليهم لندرة المصادر خاصة في الفترة التي سبقت قدوم العثمانيين إلى الجزائر وأيضاً للدور الثانوي الذي قامت به هذه الفئة مع بداية العهد العثماني بدليل الرسالة التي حملها الوفد للسلطان سليم الأول في سنة 1519 م، لم يذكر فيها أسماء العائلات المؤثرة على الحياة السياسية، فقد جاءت بصيغة جماعية "رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والأئمة

¹ - ألاء صلاح: من هم الحضر [http //amwdoo.com](http://amwdoo.com)، اطلع عليه 14 مارس 2023م، على الساعة 33: 21.

² - ناصرالدين سعيدوني، المهدي بوعبد لي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 97.

³ - أبو قاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 155 - 156.

والتجار والأمناء، وكافة سكان مدينة الجزائر العاصمة... " أي لم يحدد أسماء فئة الحضر وفي داخل نص الرسالة أشاروا فقط للحضر بعبارة " عرفاء البلدة" .

وفئة الحضر يمكن تمييزها ضمن ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى تتكون من العناصر الأصلية، أما المجموعة الثانية من الوافدين من المدن الذين أقاموا بالمدينة واندمجوا فيها، أما الثالثة وتضمنت العنصر الأندلسي¹. الذي توافد من شبه الجزيرة الإيبيرية " الأندلس " بعد قرار الطرد النهائي منذ ق15م وتواصل توافدهم طيلة القرنين 16-17 م، فكل من هذه العناصر شكلوا ما يعرف بطبقة الحضر².

بالنسبة للمجموعة الأولى فلا توجد معلومات كافية عن أقدم العائلات بالمدينة خلال القرن السادس عشر ربما لعدم اهتمام الجزائريين ومشايخها بالتدوين والتأليف ماعدا بعض العائلات البارزة التي قطنت المدينة وتركت بصمتها كقبيلة الثعالبة مثل عبد الرحمان الثعالبي، سالم تومي وسيدي محمد الشريف. فسالم تومي كان من الذين تولوا مشيخة المدينة خلال القرن 16م، أما الوافدين من الحواضر الأخرى من المالكين نجد السيدة فاطمة بنت عبد الله التلمساني التي كانت صاحبة محل تجاري قرب باب الوادي 1574م³.

أما اذا بحثنا في المصادر الأجنبية عن تعريف الحضر اصطلاحا فنجد في كتاب هايدو طبوغرافيا تاريخ الجزائر العام، أين قسم سكان المدينة إلى فئات: البلدية، القبائل، العرب،

¹ عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م مقارنة إجتماعية- إقتصادية ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الانسانية ، جامعة الجزائر، 2000-2001 م، ص4-6.

² ميلود ميسوم: مدرسة مازونة " دراسة تاريخية فنية"، رسالة ماجستير في الفنون، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2002-2003 م، ص22.

³ - عائشة غطاس: المرجع السابق، ص6.

والأندلسيين، الأتراك، الكرا غلة، الإنكشاريون، والصبايحية. كما سمي سكان المدن أيضا بالمور قسمهم إلى أربعة أنواع منهم الحضر الذي أطلق عليهم تسمية البلدية فهم المولودين في المدينة

"que sont nés dans la ville, et que dans leur langue il applent (blidi) c'est –à dire Citadin.¹"

مثلا 2500 منزل، كانوا ذو لون بشرة بيضاء وآخرون ذو بشرة سمراء (les brunns)، أما نساؤهم شديداً البياض. معظمهم اشتغلوا وامتهنوا في عدة قطاعات تجارية، ملك الكثير منهم محلات لبيع مختلف السلع خاصة أهل الحرف والصنائع.²

وفي هذا الصدد يؤكد وليام شالر أن السكان القدماء هم المور³ "moors" كما سماهم هايدو، إلا أنه قال عنهم أنه اسم علم لجميع سكان بلاد المغرب وبلاد البربر، غير أنه إلتزم بأن لا يطلق هذا الاسم إلا على السكان الجزائريين، فذكر بأن المور يشكلون أغلبية سكان المدن في الجزائر، وتطوروا باختلاطهم بالأتراك وبالإفريقيين الذين يسكنون في الداخل بالمصاهرة والزواج فتغيرت عاداتهم وتقاليدهم وخصائصهم بالاختلاط مع العائلات الجزائرية⁴.

وعموما يمكننا القول عن الحضر بأنه رغم وجود بعض الاختلافات بين المؤرخين في تعريف طبقة الحضر و أهم الفئات المكونة لها إلا أن جل الكتابات تتفق على أن الحضر هم سكان

¹ –Don Diego De Haedo : Topographi histoire Gégenral d'Alger, Imprime avallage olid, en1612, p, p, 41-42.

² – Dégo de Haedo : op. cit., p 41.

³ المور: هي لهجة محرفة عن العربية الفصيحة وهم يدينون بالإسلام، على الرغم من أنهم ينتمون الى عدة أجناس، فهم يشكلون شعبا له شخصية قومية متميزة وفي هذا الصدد شبههم شالر بالشعب البريطاني وشعب الو، م، أ ش بها كبيرا، أنظر جون لف.

⁴ – وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824 م) ، تع إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص107.

المدن الذين استقروا منذ الأزل في المدن فنجد منهم العلماء والأشراف ، الأسر والعائلات المستقرة بالبلاد، ومهاجري الأندلس الذين تكاثر عددهم نتيجة قرارات الطرد النهائي الصادر عن ملك إسبانيا فليب الثاني، وكل هذه العناصر مثلت البلدية (الحضر) وكانت كأول مجموعة سكانية في الجزائر من حيث الأهمية العددية أي كان عددهم كبيرا مقارنة بالفئات الأخرى قدرهم هايدو في سنة 1580 م بألفين وخمس مائة موقد حوالي 12.500 نسمة وهو ما يقارب خمس سكان المدينة. حتى وجدنا من اعتبر الكرا غلة من البلدية الذين لم يكن يسمح لهم بوارثة امتيازات أباءهم كونهم من أمهات جزائريات (بحكم أخوالهم الجزائريون)¹.

إلا أننا لم ندرج فئة الكرا غلة ولم نتطرق لها من العناصر المشكلة للحضر ذلك أننا وجدنا العديد من المؤلفين مثل ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، وكذا أمين محرز وهايدو لم يدرجوا في فئة الحضر إلا العلماء والأشراف والأسر التي صقلتها سنين التحضر²، والعنصر الأندلسي المتوافد من الإسبان فأغلبية الدراسات التي أرخت للمجتمع الجزائري خلال هذا العهد بينت بأن هذه العناصر هي الأساس في تشكيل سكان الحضر³. الذين تميزوا بعبادتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المتميز، إذ إنشغل أفرادها بالتجارة والمهن والصناعة وتولي وظائف السلك القضائي والتعليمي خاصة ومنهم من إشتغل في مجالات أخرى كالمقاهي فكانوا طبقة غنية تعيش حياة الرفاهية والهدوء⁴ومن المميزات التي تميز بها الحضر أنهم رغم إختلاف أجناسهم إلى أنهم شكلوا فئة متجانسة لها شخصية قوية متميزة يدنون

¹ - محرز أمين: الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص102.

² - ميلود ميسوم: المرجع السابق، ص22.

³ - موسم عبد الحفيظ: محاضرة في التركيبة السكانية للمدن الجزائرية خلال العهد العثماني الكراغلة والحضر، مقياس المجتمع الجزائري وفعاليته، سنة أولى ماستر، تخصص تاريخ حديث، جامعة سعيدة، الجزائر، ص02

⁴ - بغداد مخلوفي: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مقياس تاريخ الجزائر الحديث (السداسي الرابع)، سنة ثانية ليسانس، تخصص تاريخ عام، جامعة نور البشير البيض، 2015-2016م، ص35

بالإسلام .¹ و ملمون بالعلوم ويقال بأن الحضري إذا حفظ القرآن وتعلم الكتابة وأصبح بإستطاعته تفسيره فإنه يعد عالما كبيرا، أما إذا أدى فريضة الحج يعتبر نفسه مرابطا ويصبح منعزلا ومنصرفا عن الدنيا.²

كذلك نجد من صفات الحضر أن وجوههم شديدة البياض موردة، يرتدون على رؤوسهم الحليفة فلانس حمر، أما ألبستهم نظيفة وفاخرة، أعمالهم اليدوية تركة آثار على ملامح البعض منهم مشتهرين بالأدب واللطافة مما سهل على الأجانب الإنسجام معهم بسرعة، من أشهر العائلات الحضرية نجد عائلة ابن الفكون، ابن باديس وابن عبد الجليل .³

رغم المكانة الإجتماعية التي كان يحتلها سكان الحضر والدور الذي قاموا به في المدن الجزائرية الكبرى من خلال ممارستهم لعدة نشاطات إقتصادية، تجارية، صناعية إلا أنهم لم يطمعوا في الوصول إلى مناصب سياسية ، وهذا راجع لفرض الأتراك العثمانيين وضعية التبعية المطلقة ، أين لم يكن يحق لهم حمل السلاح، وأملأهم معرضة للمصادرة لأقل خطأ يصدر منهم في حق الأتراك ،وبهذا قال دولاماي نقلا عن فاتح بلعمري "أن الموريون يعيشون على التجارة ويلبسون مثل الأتراك لا يحق لهم حمل السلاح إلا خنجرا".⁴

المبحث الثاني: التركيبة الديمغرافية والعناصر المشكلة لسكان الحضر

عرفت الجزائر في الفترة الحديثة إمتزاج سكاني متنوع على شكل فسيفساء، بفضل توافد العديد من الأجناس، وقد إستقر بالبلاد إلى جانب السكان المحليين الأصليين كل من الأتراك العثمانيين، الكرا غلة، الأعلاج، الأندلسيين، أهل الزمة من المسحيين الأسرى والأحرار

¹ - شريط ايمان، حمدادو بن عمر: "النساء الحضر والنشاط الحرفي في الجزائر خلال (الفترة العثمانية على ضوء الكتابات الأجنبية"، مجلة العصور الجديدة، م10، ع2، جامعة أحمد بن بلة وهران، جوان 2020م، ص268.

² - أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان (1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975 م، ص 14-65.

³ - ليلي تيته: المرجع السابق، ص138.

⁴ - فاتح بلعمري: الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحالة، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، كلية الآداب والحضارات، قسم التاريخ، جامعة عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة، الجزائر، 2016-2017م، ص259.

إلى جانب اليهود، ومن بين كل الأجناس التي إستقرت بالبلاد سواء في المدن أو الأرياف، نجد طبقة الحضر وقد تميزت هذه الطبقة عن غيرها من الطبقات وكانت ظروفها المادية أحسن من غيرها.

المطلب الأول: التركيبة الديمغرافية

من الصعب جدا إيجاد معلومات وإحصائيات دقيقة حول البنية الديمغرافية للحضر ابان العهد العثماني وقد أشارت عائشة غطاس أن ذلك راجع إلى غياب الإحصائيات الرسمية قبل 1830م، وتضارب التقديرات خاصة وأن أغلب المصادر التي أرخت للموضوع هي مصادر غربية من رحالة ورجال دين وتقارير جواسيس وبالتالي لا يمكن التسليم بتقديراتها، كما أكدت غلبة العنصر المحلي وهيمنته على الطبقة الحضرية، ونقلت إحصائيات كل من فونتور دي بارادي، روزي، كراماي حول عدد طبقة البلدية الحضرية، أما فنتور دي بارادي، فقد قدرهم بإثنين وثلاثين ألفا، ولم يستثن منهم الوافدين من جربة، أما لوزي فقدّر العنصر المحلي بثمانية عشر ألف وأضاف إليهم الكراغلة مقابل ثلاثين ألفا من سكان المدينة أي نحو 60% من سكان المدينة، أما كراماي فقد كان له رأي آخر وقدّر عنصر البلدية من الحضر ب 10% من السكان وإعتبرهم بذلك أقلية، وذلك في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وتفيد إحصائيات دفاتر المخلفات على أن الحضر شكلوا وزنا ديمغرافيا هاما، بحيث يمثلون حوالي نصف العدد الإجمالي لسكان مدينة الجزائر، وظل العدد تقريبا نفسه من ثماننيات القرن الثامن عشر إلى نهاية المرحلة الأخيرة، ففي 1799م إلى 1803م بلغ 50,05%، لكن العدد إنخفض من 1807 م إلى 1817م ليبلغ العدد 47%، أما في العشرية الأخيرة بلغ التعداد 45,34%، وبالتالي نلاحظ وجود تراجع طفيف في عدد السكان في الفترة الأخيرة.¹

¹عائشة غطاس: المرجع السابق، ص73.

أما أبو العيد دودو فقد نقل عن فيلهم شيمبر تعداد سكان الحضر ب 30 ألف والأربعين ألف نسمة مقابل 100 ألف نسمة من السكان وهم بالنسبة إليه أهم عنصر بالمدينة الجزائرية¹.

نلاحظ تقارب الإحصائيات بين فونتور دي بارادي وفيلهم شيمبر. وبالرغم من إختلاف أرقام الإحصائيات وذلك يمكن إرجاعه أيضا الى الإختلاف في تصنيف التركيبة الحضرية لدى المؤرخين الأجانب فمنهم من كان يصنف الكراغلة من الحضر مثل لوزي، وفنتور دي بارادي الذي أضاف لطبقة الحضر الوافدين من جربة، لكن الشئ المؤكد أنهم كانوا فئة مهمة ومؤثرة في كل المدن الجزائرية.

المطلب الثاني: العناصر المشكلة لعناصر لطبقة الحضر

أ- السكان الأصليون:

إختلف المؤرخون في تحديد تركيبة الحضر فمنهم من إعتبر الطبقة محصورة في السكان الأصليين والأشراف وجماعة الأندلسيين، بينما هنالك من أضاف إليهم الكراغلة، والبعض الآخر الوافدون، في حين هنالك من إعتبر كل سكان المدن مدرجين في طبقة الحضر، لذلك نظرا لتباين وجهات النظر كان لزاما أن نصنف هذه الفئة بناء على مواطن الإتفاق بين المؤرخين أي نعتمد في التصنيف على العناصر المتفق عليها، ونترك ما فيه إختلاف بين المؤرخين.

لابد أن نشير إلى أنه من الصعب إيجاد معلومات تخص هذه الفئة نظرا لعدة عوامل منها توافد العديد من الأجناس على البلاد وإختلاطهم بالسكان، وذلك يصب معرفة الفئات المتأصلة بالبلاد من الفئات المتوافدة عبر العصور.

¹ أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص12.

كذلك ندرة المراجع حول هذه الفئة خاصة في المرحلة الأولى من الوجود العثماني وقد أكدت عائشة غطاس على ذلك ونوهت للدور الثانوي الذي لعبته المدينة في الفترة الأولى من الوجود العثماني، بحيث لا نعرف أسماء أقدم العائلات خلال القرن 16 سوى أسماء العائلات البارزة مثل قبيلة الثعالبة كعبد الرحمان الثعالبي، سالم التومي.¹

وينقسم السكان الأصليون الى قسمين: البربر والعرب.

البربر:

البربر نوعان : وهم بربر الحضر ويسمون البرانس، وبربر البوادي ويسمون البتر، وعليه فإن البربر الحضر من البرانس يسكنون بصفة عامة الشريط الساحلي والسفوح الشمالية لجبال الأطلس وهم يشبهون في ملامحهم سكان الأندلس وسكان البحر المتوسط، هذا الفرع الكبير من البربر هو أصلهم ،ومن الأقوام الذين سكنوا هذه البلاد منذ أقدم العصور نجد: صنهاجة وكتامة من قبائل حمير حسب رأي ابن خلدون. وأوربة ،مصمودة ، هكسورة ، جزولة ، لمطة وعجيسة. ويشكل البرانس أكثر نصف البربر، وهم يقيمون في جبال الأطلس الكبير إلى المحيط الأطلسي، كما يتواجدون في وسط الجزائر وجنوبها. تعرف شعوب البرانس عند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجدام وهي " ازداجة ، مصمودة ،أوربة ، وعجيسة ،كتامة ،صنهاجة وأوريغة ، وزاد سابق بن سليم وأصحابه لمطة ،هكسورة وكزولة.²

¹عائشة غطاس: المرجع السابق، ص ص 4-5.

² الطيب زين العابدين: " دراسة جغرافية وسكانية قبيل الفتح الإسلامي"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، م8، ع1، ديسمبر 2015م، ص ص: 17-18.

العرب:

عرفت الجزائر توافد الكثير من القبائل العربية نذكر منها: قبيلة الثعالبة التي يرجع نسبها إلى ثعلب بن علي بن بكر بن سحير أخي عبيد الله بن صقيل، وفيما يتعلق بتاريخ دخول الثعالبة إلى مدينة الجزائر وناحيتها متيجة فإنه من المرجح أنها كانت متواجدة بمدينة الجزائر وناحيتها متيجة مع أوائل القرن السادس للهجرة بعدما قدموا في أواسط المائة الخامسة للهجرة مع بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب، وذلك بناء على بعض النصوص التاريخية التي ذكرت بأن زعيم قبيلة الثعالبة سباع بن ثعلب بن علي بن مكر بن صغير كان إذا ما وفد على الموحدين استقبلوه بحفاوة وكرمهم ويضاف لهذه الجماعات البشرية العربية بالمدينة فروع من بني هلال كالأثبج وجشم، فحين استولى عبد المؤمن بن علي الموحدي على مدينة الجزائر سنة 546هـ/1152م، وجد بها أميرين من الأثبج وجشم وهما: أبو الجليل بن شاعر أمير الأثبج وحبّاس بن مسيفر أمير جثم فعقد لهما على قومهما بمدينة الجزائر ومن الجماعات العربية أيضا قبائل زغبة التي سيطرت على مجالات صنهاجة من الجزائر ومتيجة إلى غاية بجاية خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي. كما لجأت جماعات عربية أخرى إلى سهل متيجة محتمين بالثعالبة بعد إنهمازهم في معركة وادي مينا سنة 777هـ / 1376م، وتمثلت هذه الجماعات في سويد، العطاف، الديالم، وأولاد يعقوب، بالإضافة قبيلة دلاج من الإثبج والذين كانوا ينتقلون ما بين مدينة بجاية ومدينة الجزائر.¹

أما فيما يتعلق بدوائر المصاهرات فقد صاهر الوزان عائلة غنية بقسنطينة وهي عائلة ابن آفوناس، وكان ابن آفوناس على ما يذكر الفكون شيخاً صالحاً عرفت عنه الولاية والعلم واشتهر بين الناس بذلك كما اشتهر بينهم بالمال والرياع، حتى أصبحت له وجاهة عند أمراء قسنطينة

¹ عبد القادر قریشان: "الجماعات البشرية الوافدة على مدينة الجزائر خلال العصر الإسلامي الوسيط"، المجلة التاريخية الجزائرية، م5، 1ع، 2021م، ص ص 215-216.

وكانت له مدرسة خاصة شأن معظم العائلات الكبيرة الموسرة في هذه البلاد وهو الذي تزوج لوزان ابنته. وقد توفي ابن آفوناس في حياة الوزان ودفن في مدرسته، كما دفنت فيها ابنته أيضاً.¹

إن مراجعة علاقة المصاهرة في تاريخ الأسر العلمية تكشف عن العلاقة العائلية بينها، فعائلة قدورة كانت تصاهر عائلة المرتضى، وهي عائلة كانت فيها نقابة الأشراف. وكانت بين عائلة الزهار، وهي من الأشراف أيضاً، وعائلة ابن المبارك بالقلعة وهي أسرة مرابطين، مصاهرة أيضاً. ويذكر الفكون أن زوج ابن المفتي أحمد بن باديس كانت أختاً لوالدته. كما ذكر أنه شخصياً كان متزوجاً من إحدى بنات المفتي أحمد بن حسن الغربي. وقد مر بنا أن عمر الوزان قد تزوج من عائلة ابن آفوناس. وكان محمد بن نعمون صهراً لعبد اللطيف المسبح. وكلاهما من أسرة علمية في قسنطينة. كما كانت بين أسرة المقرئ وأسرة الونشريسي مصاهرة.²

ب- الأشراف:

تتميز هذه الفئة عن باقي طبقات الحضر بانتسابها إلى آل البيت، بحيث عرف عنهم الورع والتقوى،³ والنسب الشريف مرتبط بذرية فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما والمتمثل في الحسن والحسين، وبالتالي لا يخرج النسب الشريف عن ذريتها،⁴ ولم يتجاوز عدد العائلات الشريفة 300 أسرة،⁵ ومن بين الأسر الشريفة عائلة أحمد الشريف الزهار وعائلة المرتضى، أما الأسر التي تولت القضاء المالكي بمدينة الجزائر وهي أسر علمية تولت نقابة

¹ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 382.

² نفسه : ص ص 399-400.

³ ناصر الدين سعيدوني: المهدي بوعيد اللي المرجع السابق، ص 99

⁴ صلاح الدين وانس: "إدعاء النسب الشريف بين التوظيف الديني و الإستغلال السياسي"، مجلة آفاق فكرية، م4، ع9، أكتوبر 2018م، ص 249.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعيدلي: المرجع السابق، ص 99.

الأشراف مثل عائلة آل المنصب، ومن أشهر العائلات نجد كذلك البونسي، أكليل، التواتي، إضافة إلى ابن حمادوش.¹

ونظرا لمكانتهم خصهم بعض الدايات بالعطايا والمساعدات مثل الداوي محمد بكداش الذي أوقف لصالحهم بعض الأملاك وساهم في إنشاء زاويتهم سنة 1709م.²

وكان لأوقاف الأشراف وكيل خاص، ليس هو نقيب الأشراف لأن النقابة منصب معنوي والوكالة منصب إداري، فنقيب الأشراف³ لا تتم مبايعة الباشا إلا بحضوره إلى جانب العلماء والديوان، ولا يسمح له بالتدخل في تسيير شؤون الزاوية، كما أن الزاوية المذكورة لا يقيم بها إلا الشريف غير المتزوج، ولا يتولى فيها الإمامة والدرس والخطابة غير الشريف إلا إذا تعذر ذلك يسمح لغير الشريف بتوليها، كما يتولى الشريف تسيير الوقف ولا يجوز له الأخذ منه إلا بالضرورة وإن فعل فمعناه أنه يصنف مع الفقراء، أما المصاهرة في هذه الفئة فإنه لا يجوز للمرأة الزواج بغير الشريف أما الشريف يجوز له الزواج بغير الشريفة وإن تزوجت المرأة بغير الشريف فإنها معرضة للطرد من الجماعة، وإبناؤها بذلك لا يصبح شريفا، لأن النسب يكون من طرف الأب، كل ذلك من أجل الحفاظ على المكانة الشريفة، لهذا كانت لهم هذه القوانين والقواعد الخاصة.⁴

كما صاهرت أسرة سيدي ابن مبارك أسرة الزهار، وهي كذلك من إحدى الأسر العريقة ذات النسب الشريف التي تولت نقابة الأشراف بمدينة الجزائر، فتزوج أبي الحسن السيد علي بن الشيخ الحاج أحمد بن مبارك السيدة فاطمة بنت السيد الحاج الشريف الزهار، كما ناسبت عائلة

¹ عائشة غطاس: المرجع السابق ص ص: 135-137.

² ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 99.

³ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص 241-242.

⁴ حميد نقروش: "في أصول الظاهرة المرابطية في منطقة القبائل، نظرة حول المفاهيم الرباط، المرابط، الظاهرة المرابطية، الشريفة، والفقيرة"، مجلة آفاق، م 6، ع 2، 2018، ص ص 216-217.

المرتضى عائلة السنوسي فرقية بنت السيد عبد الرحمان المرتضى كانت زوجة لعلي بن السنوسي، كما قام السيد مهدي نجل سيدي محمد الشريف بالزواج بطومة بنت السيد محمد الحرار، وتؤكد عائشة غطاس أن دوائر المصاهرات في بعض الأحيان خرجت عن الإطار الشريف لتشمل الأسر ذات الجاه والثروة أي أصحاب الحسب كما عرف عنهم الإبتعاد عن الزواج الشاذ أي عدم الزواج بالعجيات، والمعتقات واليهوديات اللواتي إعتنقن الإسلام.¹

ج- فئة الأندلسيين:

من أهم العناصر التي كانت تتشكل منها طبقة الحضر الجالية الأندلسية، فلقد كانت لهم صلة بالبلاد ومعرفة بها منذ العهد الإسلامي، وأصبح عددهم بالجزائر 25 ألف نسمة.²

عرفت الجزائر نزوح الأندلسيين³ على ثلاثة مراحل تميزت كل مرحلة بأحداثها التاريخية أولها قبل سقوط غرناطة 1492م.⁴ أما المرحلة الثانية ما بين 1492-1609م، وقد استقروا في هذه المرحلة في مختلف المناطق الساحلية الجزائرية، وإتخذوا من مدينة الجزائر ملجأ لهم، وكان لهم دور في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر.⁵ وتكاثر عددهم بفضل مجيئ العثمانيين وتشجيعهم على الجهاد البحري.⁶ أما الهجرة الأخيرة 1605-1614م: أعقبت قرار الطرد الجماعي للمورسكيين في عهد فيليب الثالث.⁷

¹ عائشة غطاس: المرجع السابق، ص ص 429-432.

² ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص ص 97-98.

³ ينظر إلى الملحق رقم 1

⁴ حنفي هلايلي: أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي المورسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010م، ص 7.

⁵ نفسه، ص 18.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 98.

⁷ حنفي هلايلي: المرجع السابق، ص 34.

وينقسم الأندلسيون إلى صنفين وهم الذين أخرجوا من غرناطة والأندلس، أما الثغريون جاءوا من ممالك أرغونة وبلنسية وقطلونيا. يمتلك الأندلسيون بمدينة الجزائر حوالي ألف سكن، كما إستقروا في عديد المدن مثل شرشال، تلمسان، البليدة، القليعة و بجاية.¹

وما ساعدهم على ذلك أنهم كانوا يشكلون قوة تجارية هائلة بالجزائر، حيث ساهموا في تنمية التجارة وإنشاء صناعات رفيعة بالبلاد كصناعة البارود، الأسلحة، النجارة، الخزف، وإنتاج الحرير، ذلك بفضل الأموال التي جلبوها معهم من الأندلس.²

نستنتج أن التركيبة الأندلسية بمختلف أطيافها قد كان لها دور حيوي في تنمية الاقتصاد بفضل الأعمال التي مارسوها ولا يمكن حصر إنجازات هذه الطبقة لأنها شغلت كل المجالات.

فإلى جانب إشتغالهم بالتجارة والحرف فقد عملوا في المجال الزراعي وأدخلوا إليه تقنيات زراعية متطورة، وإستصلحوا البساتين والحقول، ومن أشهر العائلات الأندلسية نجد: ابن رامل ابن هني، ابن عمار، ابن الشاهد، بونظيرو.³

وكان للأندلسيون أوقاف أسسوها لمساعدة الأندلسيين الذين يواجهون ظروفًا صعبة، كما كان لهم مسجد، ونظرا لتزايد أوقافهم سمح لهم بإنشاء مؤسسة وتسييرها لتخصيص الفائض منها على الفقراء.⁴

أما المصاهرة في إطار هذه الفئة فيؤكد ناصر الدين سعيدوني على أنهم كانوا يرون أنفسهم دار هجرة مؤقتة ما دفعهم للإغلاق على أنفسهم، وكانت العائلات الكبيرة تصاهر بعضها

¹ صالح عياد: الجزائر في تاريخ الحكم التركي 1514-1830، ط1، دار هومة، 2012م، ص359.

² عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م، ص 74.

³ محمد الأمين بلغيث: فصول في التاريخ وال عمران بالغرب الإسلامي، ط1، أنتر سيتي، الجزائر، 2008م، ص ص 77-79.

⁴ فوزية لزغم: أثر الأندلسيين في الحياة العلمية والدينية والأدبية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، م17، ع خاص، جانفي 2022م، ص 764.

البعض أملا في العودة من جديد للديار، والمرأة لا تتزوج إلا من أندلسي وفي حالات نادرة تتزوج من غير الأندلسي إذا اضطرتها الحاجة أو الفقر، ويشير كذلك إلى أن سيدي بوضربة غداة الإحتلال الفرنسي صرح بأنه أحد أحفاد الدايات الذين ولدو من أمهات أندلسيات من أصل أندلسي.¹

ظل أفراد الطائفة الأندلسية بالجزائر يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة ، ويتحبنون الظروف للعودة إلى مواطنهم الأصلية بالأندلس ، حتى إن أرباب العائلات الكبيرة منهم ظلوا محتفظين بمفاتيح منازلهم بالأندلس بكل وفاء وإجلال، ولم يراودهم أي شك في أنه سيأتي يوم يستطيعون فيه العودة إلى منازلهم القديمة وتعميرها من جديد ويفسر هذا الإحساس اعتزازهم بأصولهم التي رأوا فيها نوعاً من النبل والشرف، مما جعلهم لا يميلون إلى الإختلاط مع غيرهم من السكان، وهذا ما جعلهم يحجمون عن التزاوج خارج جماعتهم، فالمرأة الأندلسية نادراً ما تتزوج من غير أندلسي إلا إذا اضطرتها الحاجة والفقر إلى ذلك، وبقي هذا الشعور يخامرهم حتى إن أحد الحضر وهو سيدي بوضربة لم يتردد في التصريح لأحد الفرنسيين إثر الإحتلال بأنه ينتمي إلى أصول أندلسية لكونه حفيد أحد الدايات الذين ولدوا من أمهات أندلسيات،² رغم ذلك فإن الأندلسيين قد تزوجوا ببعض العثمانيين وقد ساعدهم على الإحتفاظ بهذه المكانة الخاصة تأييدهم للدولة ومصاهرتهم للحكام الأتراك وبعض موظفي الديوان الكبار ، فقد تزوج العديد من الباشوات والرياس والضباط من أندلسيات مورسكيات نذكر منهم عائشة بنت الحاج بشير باشا التي تزوجت القائد داود .ولعل هذا الوضع هو الذي جعل الأندلسيين المورسكيين

¹ ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية في مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط2، دار البصائر، 2013م، ص 24.

² نفسه، ص 25.

يشكلون طائفة يمكن أن نطلق عليها طبقة برجوازية في مجتمع مدن الجزائر والبلدية والقلعة وشرشال.¹

ومما سبق يتبين أن الطائفة الأندلسية رغم أنها كانت تفضل التزاوج فيما بينها لكن ذلك لم يمنعها من مصاهرة الحكام ورياس البحر و الإنكشارية ، ولعل حرص هذه الطبقة على الزواج خارج فئتها هو السعي لتقوية نفوذهم وتعزيز مكانتهم في البلاد.

كما تجدر الإشارة إلى أنه من الطبقات الثلاث السالفة الذكر قد خرج منها العلماء والتجار والإداريون، وكل هؤلاء شكلوا ما يسمى بالبرجوازية الحضرية، وكان نشاط أغلب الحضر مركزا على التجارة بحيث مارسوها السكان الأصليون، الأندلسيون، والأشراف، وأصبحت هذه الطائفة هي الغالبة على المجتمع الحضري.

بحيث شكلت فئة التجار القاعدة الاجتماعية الأكثر إتساعا في المجتمع الحضري وقد كانت تحت سيطرة الفئة الحاكمة عن طريق الضغط الضريبي.²

وقد كانت الطائفة الأندلسية من الفلاحين والتجار وأصحاب المهن والصناع يتميزون بوضعهم الميسور بفضل احتكارهم الصناعات والمهن المربحة وسيطرتهم على كل مقاليد التجارة، وتوليهم استخلاص الضرائب.³

كما كان لسكان الحضر أيضا دورا في الوظائف الإدارية بمدينة الجزائر، بحيث أشرفوا على أهم هيئة في تسيير المدينة ألا وهي مؤسسة مشيخة البلد.⁴ التي كانت تتميز بالتسيير

¹ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ، 50.

² هشام بوبكر، عياش بلقاسم: "جوانب من الحياة الديمغرافية الاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية دراسة سوسولوجية تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكونة للمجتمع الجزائري"، مجلة أفاق للعلوم، ع7، مارس 2017م، ص 297.

³ ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية في مظاهر...، المرجع السابق، ص 150.

⁴ أمين محرز: المرجع السابق، ص 150.

الثنائي جماعي مع صلاحيات محددة لكل منهما، ولعل لأحدهما صلاحيات إقتصادية وثانيهما له صلاحيات إدارية إجتماعية، ومن الأسر التي أسندت إليها الوظيفة أسرة الشيخ إبراهيم التمام التي إحتكرت الوظيفة لسنوات طوال، كما تولى محمد بن السيد محمد الطبال مشيخة البلد وكان للعائلات الأندلسية نصيب منها مثل أسرة عاشير وأسرة بوضربة.¹

المبحث الثالث :أصولهم العرقية وتوزيعهم الجغرافي

سكن المدن الجزائرية عدة عناصر مختلفة الأصول، فالسكان الأصليون والأشراف والأندلسيون الذين سكنوا الإيالة الجزائرية لهم أصول وجذور عرقية مختلفة. ولهذا سوف نتطرق لدراسة أصول هذه الفئات المشكلة لطبقة الحضر وأهم الأماكن التي توزعوا و إستقروا فيها حتى نتعرف أكثر على حضر الجزائر.

المطلب الأول : أصولهم العرقية

أ- الأمازيغ :

تعد قضية أصول الأمازيغ مسألة صعبة معقدة نوع ما نظرا للإختلاف وتعدد نظريات المؤلفين والمؤرخين حول جذور البربر (الأمازيغ). فهناك مؤرخون وجدوا بأن البربر لا يتألفون من عنصر واحد بل هم مزيج بشري تكون عبر قرون عديدة ومنه نجد أن الباحثين يقسمون أصول البربر إلى :

الأصل الأوروبي:

يرى بعض المؤرخين الغربيين أن أصل البربر² هندي أوروبي أي من أصل يافثي المنسوب إلى يافث بن نوح عليه السلام، واستندوا بذلك إلى الخصائص البشرية كالبياض القوقازي وكثافة

¹ عائشة غطاس: المرجع السابق ، ص ص 97-101.

² البربر :هي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Barbara rus التي كانت تطلق على الأجانب والشعوب الأقل حضارة والتي ماتزال في حالة من البدائية والتوحش مثل جرمانيا وغاليا القديمتان، وأن الرومان كانوا ينعنون بها سكان المغرب العربي في القديم بصفتهم همجي لم يرقوا بعد إلى درجة من النضج والانضباط الاجتماعي، أما اليونان كان يطلقون كلمة " بربرا" على كل الشعوب الأجنبية غير الهيلينية في مستوى اللغة والدين والنظام ومن معانيها أيضا عندهم أنها تطلق على اللغة الغامضة الغير مفهومة وعلى الغير متحضر والفظ والطاغية ينظر ، محمد المختار العرياوي: "هل كلمة البربر شرقية عربية"، مجلة اللغة العربية، ع25، تونس، ص ص257-258.

الشعر، خرجوا هؤلاء عبر عصور القديمة من الهند ومروا بفارس ثم بالقوقاز واجتازوا شمال أوروبا ليستقروا أخيرا في شمال إفريقيا. وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذا الطرح لا يستند إلى أي دلائل علمية وإنما مجرد تعميقات بأبعاد استعمارية سعت لخلق ما يعرف بالأسطورة "القبلية".

الأصل السامي:

أي من أبناء سام بن نوح و يافث بن نوح، فحسب الدراسات فإن مواطن الساميين الأوائل في الجزيرة العربية، فكانت اليمن مهد أبناء سام الأولين مختلطين مع أولاد أعمامهم حام، فلما انحسرت الثلوج واشتدت الحرارة تفرقت الجماعات البشرية فانتقل على أثره الفرع السامي من البربر إلى شمال إفريقيا . وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذا الطرح لا يستند على أي دلائل علمية و إنما مجرد تعميقات بأبعاد إستعمارية سعت لخلق ما يعرف "بالأسطورة القبائلية ".

الأصل الحامي:

يذكر أنهم من أبناء حام بن نوح كما يذكر أن بني حام تنازعوا مع بني سام مما نتج عنه هجرة بني حام إلى بلاد المغاربة ومنه حصل إتفاق بين هؤلاء النسابة أنهم من ولد قبط بن حام وأنه لما نزل مصر خرج أبناؤه إلى بلاد المغاربة¹.

الأصل المزدوج:

يرى أصحاب هذه النظرية أن البربر ينسبون إلى سلالتين، سلالة الأصل الأوروبي (الهندية الأوروبية)، التي نزحت إلى إفريقيا من آسيا ثم أوروبا، وسلالة ثانية سامية ومنه التقت السلالتين مكونة بذلك عنصر " البربر " ويستدلون بوجود اختلاف في الخصائص البشرية عند البربر من لون البشرة والشعر والعيون .

وبهذا نجد صعوبة في تحديد المنطقة التي قدم منها القبائل البربرية. فلو عدنا إلى النسابة العربية لوجدنا أنهم يركزون على القرابة منهم ومن البربر من شبه الجزيرة العربية. أما

¹ - شنة خديجة: "إشكالية أصل البربر"، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، ع 03، 2015م، ص ص 217، 218.

المستشرقين الأوروبيين فيركزون على الأصل الأوروبي لهم ليتمكنوا من تقرير مشروعهم الاستعماري¹.

فحين الفرضية التي لم يرتكز عليها النسابة والمؤرخون هي ماذا لو الأمازيغ لم يأتوا من أي بلد؟، ودليل الحفريات التي عثرت على أقدم إنسان عاقل تغنيف في معسكر ومنه يمكن أن تكون نظرية الأصل المحلي ذات أهمية النسبة للدراسات الأنتروبولوجيا والجيولوجية، ويمكن تأكيد هذا من خلال أحد الروايات المتعلقة برواية إفريقش الذي نزل بمنطقة البربر، وسمع حديث البربر فسماهم بهذا الاسم، وهذا يعني أن السكان كانوا موجودين قبله.

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين في نسبهم إلا أنهم كانوا قبائل كثيرة مشهورة ومواطنهم، ومساكنهم بشمال إفريقيا من البحر المتوسط الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية إحدى عواصمهم، وإلى جيجل فهؤلاء مشهورون بالزواوة. والخلاف في أصلهم جعل العديد من الباحثين يقومون بالبحث والتتقيب إذا كانوا عرب أم بربر؟ لكن مؤرخين من أهل المشرق وأهل المغرب وعلماء النسب أجمعوا واتفقوا على أن البربر يجمعهم جدان عظيمان وهم برنس ومادغس. ويلقب مادغس الأبتري فلذلك يقال له لشعوبه "البتر"، ويقال لشعوب برنس "البرانيس".

وبين علماء النسب خلاف حول الأب هل هم من أب واحد؟ فعن حزم عن أيوب ابن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد. وهو ما ذكره أبو يعلى الزواوي عن ابن خلدون أن القبيلتين العظيمتين "كتامة وصنهاجة لسيوا من البربر وأنهما من شعوب اليمن تركهما إفريقش بين صيفي إفريقيا مع من أنزل بها من الحامية².

ب - العرب:

يعود تواجد العرب في الجزائر إلى زمن الفتوحات الإسلامية التي قادها المسلمون العرب لنشر دين الإسلام في شمال إفريقيا والذي إستغرق مدة طويلة جدا، بدأ الفتح الإسلامي للجزائر مع القائد عقبة بن نافع الذي أسس القيروان وتوجها لفتح المغرب الأوسط إلا أنه تلقى هزيمة أمام كسيلة بن

¹ - شنعة خديجة: المرجع السابق، ص219.

² - أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، مر، تع سهيل الخالدي، ط1، منشورات دار الثقافة، 2005م، ص 92.

لمز الأوربي البرانسي، الذي سلف ذكرنا أنه من قبيلة مستقرة بالمدن كان في خلاف مع عقبة، و في سنة 55 هـ إستغل مسلمة على إفريقية مولاه أبا مهاجر دينار الذي قام بتأسيس مدينة قرب القيروان وأخذ يغزو ويفتح بلاد المغرب.

وكان من ملوك البربر ملك يدعى كسيلة جمع جموعة بالمغرب الأوسط، زاحفا بها لقتال المسلمين فخرج إليه أبو مهاجر الدينار وهزمه حول تلمسان ضفر به فاعتصم بالإسلام فاستبقاه وقربه، بعدها توجه أبو مهاجر إلى الغرب فبلغ تلمسان¹.

ومن هنا يتضح أن العديد من العائلات العربية قدمت مع الفتح الاسلامي واستقرت العديد من الفروع العربية الذين فضلوا الاستقرار وتعمير الحواضر والمدن الجزائرية، فاندمجوا مع سكانها وأسسوا الكثير من الحاميات ونبع منهم الكثير من العلماء كعائلة التميمي البوني وهي عائلة عربية من قبيلة بني تميم العربية التي إستقرت في مدينة عنابة وعائلة سيدي بومدين الغوث التي شاركت في فتح الجزائر وبنوا مدن كثيرة ، نشروا فيها مذاهبهم وأقاموا بها يقول " ابن خلدون" لما استقلت مصر و فرسانها وأنصارها ومن اليمن بالدولة الإسلامية فيمن تبع دينهم من إخوانهم ربيعة ومن وفقهم من الأحياء اليمنية، وغلبوا الملل والأمم على أمورهم، وانتزعوا الأمصار من أيديهم ، وانقلبت أحوالهم من خشونة البداوة وسذاجة الخلافة إلى عزّ الملك وترف الحضارة...² "

وتجدر الإشارة إلا أنه من العرب ظهرت فئة الأشراف الذين ترجع أصولهم إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ حدد البعض أن أصل بيت الرسول هم علي وفاطمة والحسن والحسين إستنادا للآية التي أنزلت على النبي " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "³.
ففي بيت أم سلمة، دعا الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا ، فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره فجللهم هو أيضا ، ثم قال "اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"⁴.

¹ - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث تح محمد الميلي ، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص24.

² - ابن خلدون: المرجع السابق، ص03.

³ - القرآن الكريم: سورة الاحزاب الآية 22.

⁴ محمد المتولي الشعراوي : سيرة البيت النبي صلى الله عليه و سلم ،المكتبة التوقفية ، د.ط، القاهرة ، مصر ، ص7.

فالأشراف ينحدرون من بيت الرسول صلى الله عليه وسلم. ويقصد بالشرفاء أناس النبالة المنحدرين من بيته، والمستخلفين الروحين والذنيويون لرسول الكريم.

يعود أصل الأشراف في المغرب عامة وفي الجزائر خاصة إلى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسين، الابن الثاني لرسول الله الذي حمل إلى إفريقيا الشمالية مذهب الشيعة وتم الاعتراف به كسلطان. فكان أول من دشن استعمال النسب الشريف في تاريخ المغرب الإسلامي، بعد أن فر من مولاة رشيد إلى مصر ثم إلى المغرب الأقصى¹ ليكن بعيدا عن أيدي العباسيين. أما تواجد الأشراف في الجزائر فيعود إلى منتصف رجب 172هـ 789 م من خلال زحف إدريس الأكبر إلي تلمسان، التي كانت تقيم فيها قبائل مغرواة وبني يفرن الذين رحبوا به وبايعوه. فأمنهم فاستقبلوه بالترحاب لنسبه الشريف، مكث إدريس الأكبر بتلمسان تسع أشهر لم يكتف بتلمسان، فوصل إلى شلف بإتباع سياسة الغزو المسلح حتى يوسع نفوذه في كل المغرب الأوسط.

وهو ما أثار حفيظة الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي ورد عنه أنه قال " لقد فتح مدينة تلمسان وهو باب إفريقيا ومن ملك بابا يوشك أن يدخل الدار"².

نظرا لأهمية مدينة تلمسان الحضارية، بعث بأحد ليقوم بقتله ويتخلص منه، فقيل أنه مات مسموما، هذا ما أكدته كمال فيلالي نقلا عن محمد حمداوي " ...والتاريخ يؤكد أنا هذا الأخير قد طرد من طرف منافسة الخليفة العباسي لبغداد هارون الرشيد (766هـ-806م) ليجد ملجأ في المغرب لكن هذا لم يشفع له من اليد الغادرة للخليفة العباسي، فمات مسموما..."³

إلا أنه ترك وراءه امرأة حامل في الشهر السادس خلف إدريس الثاني ويسمى بإدريس الأصغر (إبنه) الذي تم الإعتراف به كسلطان للمغرب، ولما بلغ عامه العاشر تم نقلة إلى فاس وهي المدينة التي تعتبر المهد الأول للنبالة الدنية في المغرب⁴.

¹ - محمد حمداوي، راشدي بن يمينة : "أشراف الجزائر: المكانة والأدوار"، 4م، ع1، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، جوان 2018م، ص290.

² - كروم عيسى: "امارة بني سليمان في المغرب الأوسط بين الوجود والنسيان (172 هـ - 342م). (788هـ-953م)", "الدراسات التاريخية والأثرية والتراثية"، ع24، ديسمبر 2012، ص313.

³ - محمد حمداوي، راشدي بن يمينة: المرجع السابق، ص290.

⁴ - نقروش حميد: المرجع السابق، ص 214.

وبدأ منه ينتشر الأشراف الأدارسة في معظم بلدان المغرب، إذ خلف إثنا عشر ولداً الذين شكلوا أسراً من الأشراف منها 70 أسرة توجهت إلى بلاد غمارة و 12 إلى تالا و 7 إلى فجيح وإلى سلجماسة وإلى سوس والساقية الحمراء فأصبح المغرب الأقصى مصدر لظاهرة الأشراف، ومن هناك إنتقلوا إلى الجزائر وإنتشروا في كل أرجائها¹ بداية من القرن 13 م مشكلة من ثلاثة أسياد : سيدي أبو عبد الله بعث إلى الشلف، سيدي محمد الشريف قصد القبائل العليا، سيدي محمد الغيرني نزل بشرشال² ومن ثم إستقروا بالمدن الجزائرية واندمجو مع سكانها.

ومنه نستنتج أن الأشراف الذين تواجدوا بالجزائر يعود نسبهم إلى إدريس الأكبر المنحدر من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليتواصل تزايد الأشراف مع إدريس الأصغر ، فأول الأشراف الذين دخلوا إلى الجزائر من الأدارس المعروفين بالنسب الشريف الذين حضيو بمكانة مرموقة وإحتراماً كبيراً من طرف السكان الجزائريين.

ج- الأندلسيون:

كان مسلمو بلاد الأندلس بعد فتحها يتكونون من العرب الفاتحين والمغاربة والصقالبة المنحدرين من أوروبا الشرقية، أما أصل تواجد الأندلسيين بالجزائر فهو راجع إلى دخول المرابطين الأندلس في 1085 م، وعلى إثر انتصارهم في معركة الزلاقة هاجر الكثير من أمراء الطوائف إلى إمارة الحمادين ببجاية أيام سلطانها المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي حيث هاجر أمراء بني صمادح ملوك المراية وما جاورها إلى بجاية سنة 1091 م فنزلوا بأموالهم وأهلهم وماشيئهم بمدينة بجاية. فأكرم السلطان الحمادي هؤلاء الأندلسيين بإقتطاعهم بلدة دلس التي صارت فيما بعد قبلة للمهاجرين الأندلسيين حيث بنوا فيها الدور والقصور الفخمة والحدائق والثمار.

وبهذا يمكن القول أن هجرة الأندلسيين إلى إمارة بجاية كانت أول قبلة للأندلسيين في الجزائر منذ القرن 11 م ، ثم بعدها توالى الهجرات الأندلسية نحو الجزائر بعد القمع والإستبداد الذي مارسه الإسبان على المسلمين الأندلس من خلال محاكم التفتيش التي كانت تهدف إلى تطهير

¹ - وانس صلاح الدين: المرجع السابق، ص250.

² نقروش حميد: المرجع السابق، ص212-213.

إسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين ومن تراثهم الذي إزدهر في هذا البلد لمدة ثمانية قرون. وبهذا قرر الكثير من مسلمي الأندلس الهجرة إلى الشمال الإفريقي بعد سقوط مملكتهم، كمفر آمن لدينهم وحریتهم، وهروبا من الإضطهاد وتكيل نصارى الإسبان¹، خاصة بعد سقوط غرناطة فإستقبلت مدن الجزائر على غرار بقية مدن شمال إفريقيا الوافدين من الأندلس الذين تم نفيهم من إسبانيا² فسكنوا المدن الساحلية الجزائرية بشكل كبير و بعضهم سكن الحواضر الكبرى واندمجوا مع السكان المحليين، فأثروا تأثيرا كبيرا في المجتمع الحضري الجزائري بما جلبوه من حضارة من بلادهم.

المطلب الثاني: توزيعهم الجغرافي:

لقد إستقر الحضر في العديد من المدن الجزائرية وشغلوا العديد من الحرف والنشاطات التجارية وتقلدوا الوظائف الإدارية، ومن أهم المدن نجد:

أ-مدينة الجزائر:

بنيت مدينة الجزائر على منحدر هضبة مرتفعة،³ "وهي كبيرة جدا، أسوارها متينة، مبنية بالحجر الضخم، فيها دور جميلة، والعديد من الفنادق والحمامات، تحيط بالجزائر عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه".⁴

¹ - فتحي زغروت: العثمانيون ومحاولات وإنقاذ مسلمي الأندلس 198-110هـ منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي، ط1، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر ، 2011م، ص22.

² - العربي إشبودان: مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، ترجمة جناح مسعود، مراجعة حاج مسعود مسعود، د.ط ، دار القصبة، الجزائر، 2006م، ص 72.

³ جيمس ليندر كاتكارث: مذكرات أسير الداوي كاتكارث قنصل أمريكا في المغرب، تر إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م. ص68.

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تر محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1983م، ص37.

وتشير عائشة غطاس إلى أن تعداد الحضر في المدينة كان يمثل أكثر من نصف سكان المدينة، وبلغ عددهم سنة 1804م 50.04% من نسبة السكان.¹

وحضر مدينة الجزائر من الطبقة الغنية المنحدرة من أهل البلاد ومن مهاجري الأندلس، كانوا سياسيا في المرتبة الثالثة بعد الأتراك والكرّا غلة، وامتلكوا أراضي في سهل متيجة ولهم بعض الأملاك في مدينة الجزائر نفسها، يمتنون التجارة، وكانو غالبا لا يطمحون إلى مناصب سياسية، تقلدوا مناصب القضاء، الإفتاء، الإمامة والكتابة.²

أما عن أشهر الأسواق فيؤكد كمال صحراوي نقلا عن هايدو وجود ألفي متجر في القرن 16 موزعين على سوقين القديم والجديد وكان السكان الأصليون بالمدينة يشتغلون ببيع المواد الغذائية.³

ومن الحومات التي إسقر فيها الأندلسيون في المدينة نجد حومة الرحبة القديمة، وحومة باب السوق فقد كانت مستقرا للبلدية من الطبقة البرجوازية، والأندلسين، وكانت ذا كثافة سكانية عالية حتى أن الطبقة الحاكمة قد إستقرت بها والإستقرار بها لعاملين الجاه والسلطة،⁴

أما حومة سويقة عمور، إضافة إلى كونه حيا سكنيا فقد عرف بنشاطه التجاري، وإستقر به الحرفيون، فهؤلاء الحرفيون إختاروا الإقامة على مقربة من مواقع عملهم، أما حومة كوشة علي فهي حومة للطبقة الأرستقراطية، تحتل المرتبة الثالثة من حيث الكثافة السكانية، بحيث إستقر بها مفتي المالكية أحمد بن مبارك، وشيخ البلد، كما سجلت حضور الحاج رمضان أمين

¹ عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 74.

² أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م، ص 65.

³ عبد القادر صحراوي: "الأسواق في مدينة الجزائر وأنظمة التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون أسواق الجزائر"، مجلة الحوار المتوسطي، ع1، 2009م، ص ص 87-88.

⁴ عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 393-397.

التجار، وبذلك نلاحظ تباين أماكن استقرار الحضر في مدينة الجزائر. كانت تحتوي عناصر مختلفة كالعلماء والتجار وحتى الطبقة الحاكمة تواجدت بها.¹

ب - مدينة قسنطينة:

"مدينة قديمة .. أسوارها عالية سمكية، مبنية بالحجر المنحوت ،... واقعة في جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بضخور عالية ،...تقع أعلى قمة الجبل،.. تضم ثمانية آلاف كانون، وهي متحضرة.. جدا مليئة بالدور والبنائات كالجامع الكبير والزوايا الثلاث."²

كانت قسنطينة طوال الحكم العثماني تتميز بظهور طبقة من الحضر أو البلدية كان لها تأثير مباشر على الأوضاع الداخلية بالمدينة، وقد منحوا العديد من الإمتيازات وتخصيص أغلب المناصب الشرفية والوظائف الإدارية والثقافية والتجارية لهذه الطبقة، وقد إشتهرت من هذه الطبقة عائلات إحتكرت الوظائف الإدارية والثقافية والتجارية بالمدينة مثل أسر ابن الفكون وعبد المؤمن، وابن جلول، وابن عبد الجليل، وقد وجدت هذه العائلات التي إكتسبت مع الزمن ملامح برجوازية محلية ناشئة فائدة من إستقرار الأوضاع في المدينة خاصة في عهد صالح باي، لهذا أبدت تأييدا له، وقدمت خدمات كبيرة له، لكن بدأت تتخوف منه في آخر العهد بسبب السياسة الضريبية الثقيلة ،كما أن سياسته المعادية لباي تونس أثرت على تجارتهم المزدهرة مع أقاليم تونس.³

¹ عائشة غطاس: المرجع السابق، ص ص 389-390.

² الحسن الوزان: المصدر السابق ، ص ص 55-56.

³ ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، 2009م، ص ص 252-253.

كما تعتبر مدينة قسنطينة مركزا للتبادل التجاري والنشاط الحرفي، وملتقى للقوافل التجارية، تحظى بتجارة رائجة وهو ما أهلها لتصبح أحد أكبر مقاطعات الإيالة وأغناها لما كانت تقدمه من دنوش سنوية.¹

ومن أشهر الأحياء في قسنطينة نجد حي باب الجابية الذي يقع في الجهة الجنوبية من المدينة، وحي باب القنطرة يقع في الجهة الشمالية من المدينة، حي القصبة في الجهة الشمالية الشرقية، ورحبة الجمال تقع في الجهة الغربية بين باب الوادي وباب الجابية، تم تصنيف هذه الأحياء حسب الكثافة السكانية، فنجد حي باب القنطرة يتميز بالمرتبة الأولى من حيث العدد.²

أما الأسواق فنجد كل من سوق التجار وسوق الكبير، سوق الغزل وسط المدينة بالقرب من دار أحمد باي والجامع الكبير المالكي، وجامع سوق الغزل الحنفي، وخص كل حي بمنطقة إقتصادية سوق أو سويقة بجوارها مسجدها الخاص كمركز حيوي، وقد خصصت منطقة وسط المدينة كمكان خاص بالنشاط الإقتصادي دون السكني.³

ت-مدينة تلمسان:

مدينة تلمسان هي إحدى المدن الرئيسة في بايلك الغرب الجزائري،⁴ "تقع على بعد سبعة فراسخ من البحر المتوسط في جهة الجنوب... لم تكن سوى مدينة صغيرة بمثابة قلعة... ثم إتسعت بعد ذلك... وأخذت تشتهر بسبب إقامة ملوك تلمسان فيها و إتخاذها عاصمة لهم.. ووقد نظمت ساحاتها وأزقتها على نسق جميل جدا، ودكاكين صناعها وتجارها مرتبة".⁵

¹ بدر الدين شعباني: "مدينة قسنطينة في العهد العثماني الأصالة والتراث"، مجلة دراسات، م 7، ع 1، 2020م، ص 84.

² خولة نواري: "نظرة حول المجتمع الحرفي والصناعي بمدينة قسنطينة في العهد العثماني"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، م 2، ع 1، جانفي 2019م، ص 287.

³ بدر الدين شعباني: المرجع السابق، ص ص 91-94.

⁴ بن عتو بلبروات: "أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني"، الحوار المتوسطي، م 1، ع 1، 2009م، ص 74.

⁵ مرمول كريخال: إفريقيا، تر محمد حجي: محمد زنيبر وآخرون، ج 2، دار المعرفة، المغرب، 1984م، ص 298.

وتشكل طبقة الحضر من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد، حيث شكلت فئة إجتماعية ذات فعالية إجتماعية، تميزوا بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الإجتماعي المميز، ما جعلهم يشكلون طبقة إجتماعية ميسورة يشتغل أفرادها في المهن الصناعية أي الأعمال التجارية ويتولون وظائف السلك الثقافي والتعليمي الذي إنبثق منه الصناع المهرة والتجار والفقهاء والعلماء، إلا أن هذه الطبقة عرفت تراجعاً نظراً إلى التحولات الداخلية والخارجية التي شهدتها مدينة تلمسان ونواحيها، إلا أن هذه التحولات التي كانت المدينة مسرحاً لها ساهمت في إنكماش دورها في الحياة الاجتماعية والسياسية والإقتصادية بحيث يذكر برجس بأن أفرادها إستقروا في الجهة الشمالية من المدينة وأن أصولها تعود إلى العرب الذين فتحوا إفريقيا، ثم ينتقل إلى النشاطات التي كانت تمارسها هذه الطبقة، ويحصرها في النشاط الصناعي والزراعي، إلا أنه يؤكد أن النشاط الصناعي كان الأبرز وهذا من خلال تخصص أفرادها في الصناعات النسيجية والحرفية، وأنها كانت تمارس نشاطها في حي السوق الذي أضحى سوقاً صغيرة في المدينة وكان هذا الأخير يتكون من عدد من الورشات والدكاكين والمخازن، تباع فيه الملابس القطنية، والحريية من برانس، وحايك والأسلحة وهذا التنوع جعلها قبلة للتبضع من طرف سكان المدينة ونواحيها.¹

ث-مدينة وهران:

"وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها...الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط، ... وبها من المؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة، من مساجد ومدارس وملاجئ

¹ محمد بن عدي، معمر العايب: "الحياة الاجتماعية بتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني 1518-1830"، مجلة الدراسات التاريخية، م 23، ع 2، 2023، ص ص 445-446.

وحمامات وفنادق، محاطة بأسوار عالية، يقع جزء من المدينة في السهل، والجزء الآخر في جبل شديد الارتفاع".¹

مدينة وهران خاصة عن بقية حضر الإيالة لأن أغلبهم قادمين من باقي المدن الجزائرية كمستغانم ، مليانة، معسكر، والمدينة التي جاءوا منها بعد إستدعائهم من طرف الباي محمد لكبير عقب فتح المدينة، رغم الإمتيازات إلا أنهم أبعدوا عن السلطة ولم يكن لهم تأثير سياسي وكان إشتغالهم الأساسي في حرفهم وتجارته وتتمية أموالهم، ولأن الحضر كانوا قرب مراكز السلطة، فلذلك لم يكن لهم المجال للمناورة، إضافة إلى أن مصالحهم لم تكن مهددة، وهذا ما جعل صراعهم مع السلطة غير مطروح، لاسيما وأن الأشرف كانت لهم مساهمة في تحرير المدينة من الإسبان ومن أهم أشرف الذين سكنوا وهران محمد الصادق المازوني الذي كان قاضيا بوهران.²

ج-مدينة دلس:

"...مدينة في إقليم الجزائر من جهة الشرق. بناها السكان الأصليون على ساحل البحر المتوسط، تحيط بها أسوار جيدة، بها أراضي واسعة ..وفي المدينة ما يزيد عن ألف كانون".³

سكان هذه المدينة يشكلون في مجموعهم أسرا كبيرة تتداخل فيما بينها حتى تبدو كأنها أسرة واحدة، فهم أعمام وأخوال وأصهار، كما عرف عنهم إحترافهم للتجارة والفلاحة والملاحة والصيد.⁴

¹ الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 30.

² عبد القادر بلغيث: الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014-2015م، ص ص 107-108.

³ مارمل كربيخال: المصدر السابق، ص 372.

⁴ عامر شعباني: الأنفاس الأخيرة للأندلس الصغيرة لدلس، دار الوعي، الجزائر، 2009م، ص 14.

تنقسم قصبة دلس إلى قسمين علوي وسفلي، وفي كل من القسمين أحياء صغيرة، قد تسمى كل زاوية منه باسم العائلة الكبيرة التي تسكنه، بحيث أن كل أهل حي يسمون أجزاء حيه بأسماء العائلات الساكنة به مثل حومة سيدي البخاري، حومة الميزاب، حومة سيدي الحرفي، حومة عين سالم، حومة سيدي يحيى، حومة الجبيسة، حومة سيدي منصور، حومة سيدي عمار.¹

ج-مدينة مازونة:

"مدينة عتيقة بين مستغانم وتنس...أسوارها عالية حصينة، منطقتها شاسعة".² تعتبر العاصمة الأولى لبايك الغرب 1563م، وقد بلغت شهرة مازونة الآفاق، عرفت بمكانتها الثقافية والعلمية وهو ما جعلها حاضرة علمية رائدة في باييك الغرب.³

كما أشتهرت بالصناعات الجلدية والأقمشة وكان للأسر الحضرية بما فيها الأندلسية أثر في الحفاظ عليها بعد أن توارثت العائلات صناعتها.⁴

ح-مدينة عنابة:

"مدينة عتيقة...على ساحل البحر المتوسط..تضم حوالي ثلاثة مائة كانون...وهي كثيفة السكان...بعضهم تجار وبعضهم صناع وحاكّة".⁵

يعتبر العنصر الأندلسي من العوامل المؤثرة على الحياة الاجتماعية والإقتصادية فقد كان لهذا التأثير أثر إيجابي بعد إستقرارهم بأحياء المدينة، مارسوا الصنائع المختلفة والمهن اليدوية،

¹ - عامر شعباني ، المرجع السابق، ص ص 69-70.

² مرمول كريبخال: المصدر السابق، ص 359.

³ سعدية رقاد: "الحواضر العلمية في باييك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني"، مجلة عصور الجديدة، ع 23، أوت 2016م، ص ص 367-368.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830)، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2012م، ص 34.

⁵ الحسن الوزان: المصدر السابق ص ص 61.

ويحتكرون الأعمال التجارية التي أصبح أغلب من يشتغل بها من الأندلسيين وبذلك كان لهم دور في بناء إقتصاد المدينة.¹

يلاحظ كثرة اليد العاملة فيها لكونها مركزا تجاريا وبحريا، وكذلك الطبقة المتوسطة لكثرة التجار، وكانت الحياة العلمية نشيطة أيضا، ومن أشهر العائلات العلمية أسرة البوني والعنابي.² كانت عنابة مكانا مفضلا لكثير من الصناع، واتخذت في تنظيمها على شكل مجموعات حرفية ذات طابع نقابي يتمركز كل فرع في شارع خاص، مثل الأسواق الخاصة بالنجارين، الخزافين، بائعي البرانس، والحدادين، ما جعلها تعتبر إحدى الأسواق الرئيسية بالشمال الإفريقي، فضلا على أنها كانت حلقة الوصل بين الجهات الشرقية للإيالة وباقي الأقطار الإسلامية.³

خ-مدينة بجاية:

"مدينة عتيقة... في منحدر جبل شاهق على البحر المتوسط، تحيط بها أسوار عالية... فيها جوامع... وحمامات، فنادق... توجد قرب الجبل قلعة كبيرة... وكان أهل بجاية على قدر عظيم من الغنى، يحيط بالمدينة عدد لا يحصى من الحدائق العامرة بالأشجار."⁴

لقد عرفت مدينة بجاية توافد العديد من الأندلسيين كسائر المدن الجزائرية الساحلية، وتدعم بهم جانب الحضر الذين كانوا يعيشون على تراثهم القديم، وكانت بجاية بالنسبة لأهل زواوة عاصمة علمية وتجارية، ولكن الإسبان قضوا على عمرانها وفر منها العلماء والتجار.⁵

¹ ناصر الدين سعيدوني: وثائق جزائرية، المرجع السابق، ص 460.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 178.

³ ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 473.

⁴ الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 50.

⁵ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ..، المرجع السابق ، ص ص 178-179.

ولقد كان لمدن المدينة، شرشال، مليانة ومستغانم، ومعسكر دورا هاما في الحياة الاقتصادية والعلمية خلال العهد العثماني، وعمر الأندلسيون عددا منها مثل تنس، وشرشال، ومستغانم.

ذكر أبو القاسم سعد الله نقلا عن التمعروطي أن شرشال كانت مدينة حصينة كثيرة العمارة والزرع والفاكهة وكل ذلك بفضل نشاط الأندلسيين فيها وتطويرهم للزراعة، وتنس بناها الأندلسيون أما معسكر إكتسبت سمعة كبيرة أثناء حكم الباي محمد الكبير، واشتهرت بالعلماء أمثال الرماصي القلعي، عبد القادر المشرفي، أبي راس الناصري، كما إشتهرت بزواية القيطنة التي كان على رأسها محي الدين والد الأمير عبد القادر، واشتهرت المدرسة المحمدية.¹

كما إهتم سكان معسكر بالدرجة الأولى بالتجارة خاصة وبالاقتصاد عامة، بإعتبار أن التجارة كانت تدر عليهم أموالا طائلة إلى جانب أنهم يضمنون حصولهم على حاجياتهم اليومية.²

مما سبق نلاحظ أن الحضر إستقروا في المدن الكبيرة والمحصنة جيدا والتي غالبا ما تحتوي على أسوار عالية وربما راجع إلى حرصهم على حماية أنفسهم من الحملات الصليبية، كما فضلوا الاستقرار في المدن التي بها نشاط إقتصادي وتجاري كثيف خاصة في المدن التي تعتبر ملتقى للقواقل التجارية فأغلب الحضر مارسوا النشاط التجاري والحرفي، كما نلاحظ أن أغلب الحضر كانوا أثرياء من الطبقة البرجوازية، أو على الأقل من الطبقة المتوسطة نظرا لنشاطهم التجاري الذي كان يدر عليهم الكثير من المال هذا ما جعل أغلبية الحضر لا يستغنون عنه، كما أن تركزمهم كان في الأحياء الرئيسية والكبيرة، وكانت منازلهم بالقرب من الأحياء التي يمارسون فيها نشاطهم، كما أن للجالية الاندلسية دور في الرقي بالحواضر التي إستقروا بها لما ساهموا في تنشيط الجانب الاقتصادي، فلا نكاد نجد مدينة حضرية إلا واستقروا بها وأثروا فيها

¹ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، صص 182-183.

² قدور بوجلال: "المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 31، 2017م، صص 235-236.

فأغلب المراجع والمصادر تشهد على دورهم ونشاطهم الذي ارتكز في الحواضر التي إستقروا بها . وبالتالي نستنتج أن أهم معيار للحضر للاختيار مناطق إستقرارهم يعتمد على عنصرين الأول توفر الأمن الذي يساعدهم على ممارسة نشاطهم، ثانيا توفر المراكز التجارية التي تمكنهم من مزاوله مهنتهم المفضلة ألا وهي التجارة والصناعة.

خلاصة الفصل :

مما سبق نستنتج أن طبقة الحضر في الجزائر في الفترة العثمانية طبقة متميزة عن بقية الفئات الأخرى فهي تتشكل من السكان الأصليين بما فيهم العرب والأمازيغ وكذا المهاجرين الأندلسيين، إلى جانبهم الأشراف.

نظرا لتباين الآراء واختلاف وجهات النظر توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى تحديد العناصر المشكل لفئة الحضر مراعين مواطن الاتفاق بين المؤرخين و تركنا كل ما فيه اختلاف وحددنا فئة سكان الأصليين ، المهاجرين الأندلسيين ، والأشراف.

أما فيما يتعلق بأصولهم فهناك اختلافات كذلك لكن الأرجح في أن الأشراف ينسبون لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي، فاطمة الحسن والحسين، أما الأصليون من أمازيغ وعرب الذين ترجع أصولهم الى سالم بن نوح عليه الصلاة والسلام، أما المهاجرين الأندلسيين فترجع أصولهم إلى ذلك الخليط من الفاتحين العرب والمغاربة وما نتج عن تصاهر مع السكان الأصليين لشبه الجزيرة الإيبيرية وهم الأغلبية التي توافدت إلى الجزائر عبر المراحل التاريخية .

كما أن هذه الفئات استقرت وتوزعت في العديد من المدن والحوضر الي كانت تعرف نشاطا إقتصاديًا، تجاريًا، حرفيًا وثقافيًا، خاصة المدن الساحلية كمدينة الجزائر شرشال و هران، تلمسان، عنابة، بجاية ، مازونة، وقسنطينة.

الفصل الثاني: اسهامات الحضر في المجال الاقتصادي

المبحث الاول: في المجال الزراعي

المبحث الثاني: في المجال الصناعي

المبحث الثالث: في المجال التجاري

المبحث الأول: في المجال الزراعي.

عرفت منطقة المغرب الأوسط بأنها بلاد خصب ونماء، إمتهنت فيها الفلاحة على نطاق واسع كونها مصدر عيش ورزق لكثير من سكانها . وكان للحضر نصيب في تطوير هذا المجال والإسهام فيه كفئة خاصة ،بحيازهم لضياح خارج مدن الإيالة أي في فحوصها نتيجة لأرباح الجهاد البحري الذي أكسبهم ثروة وغنى احتكروا من خلاله تلك البساتين معتمدين على جماعات من العمال الريفين الذين ينتمون إلى قبائل وعشائر مختلفة كقبائل متيجة، مقابل أجرة زهيدة لا تتعدى خمس الإنتاج¹ وهم يعرفون بالخماسين².

كما كانت بداية إسهام هذه الفئة في هذا المجال من خلال إقطاع خير الدين لجماعة من الأندلسين الذين كانوا تحت رعاية شيخ سيدي أحمد الكبير في منطقة البليدة فقاموا بإنشاء قنوات من المياه لسقي مساحات زراعية كبيرة لزراعة الخضر والفواكه وغيرها من المنتجات³ . وبهذا أصبحت البليدة تتميز طيلة العهد العثماني بإنتاجها الوفير، كما عملوا على الإعتناء بنواحي برشك⁴ . فما هي أهم المنتجات الزراعية التي إهتم بزراعتها الحضر؟

المطلب الأول : أهم المنتجات الزراعية. أ- الأشجار المثمرة :

¹- ناصر الدين سعيدوني : " فحص مدينة الجزائر (نوعية الحياة الإقتصادية لاجتماعية عشية الاحتلال) "، مجلة الدراسات التاريخية ، ع1، 1986، ص 92.

²- الخماسة : هو نظام يقوم على استخدام الفلاحين من جماعات الرعية الخاضعة للعمل في مزارع الخواص من الحضر (البلدية) مقابل خمس المحصول وهذا ما يجعل منهم أجراء وشركاء أصحاب الأرض بالخدمة، فالخماس مكلف بالقيام بأعمال الحرث والحصاد، قلع الحشائش الضارة من الحقول وحراسة المحصول من التلف والطيور والحيوانات. (ينظر يوسف صرهودة: الإقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر (1700-1830)، شهادة دكتوراه في العلوم التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ والاثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة 2 ،(2017-2018)، ص82.

³- سهام بومعزة :الزراعة في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني(924-1246هـ-1830م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2019 . 2020م، ص53 .

⁴- برشك: مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، بعيدة عن مدينة مستغانم بعدة أميال لم يبق لها أثر منذ هدم صورها بزلزال عام 1531م، ينظر حسن الوزان: المصدر السابق ، ص32.

تنوعت الأشجار المثمرة في إيالة الجزائر بكثرة و ذلك راجع إلى ملائمة كل من التضاريس والمناخ لنمو هذه الثروة ، الناتجة سواء عن طريق زراعتها أو نموها عشوائيا. و تمثلت الأشجار المثمرة في أشجار التين، الزيتون، البرتقال، العنب الخوخ ، حب الملوك ، المشمس، والبرقوق ... تحتاج هذه الأشجار عادة في نموها إلى مقادير من المياه أكثر مما تحتاج إليه النباتات الأخرى والسبب هو شكل الشجرة وكثرة أغصانها وأوراقها التي تجعلها تفقد مقادير كبيرة من المياه بواسطة النتح.¹

وفي الفترة العثمانية شهدت الأشجار المثمرة تحسناً بفضل جهود الأندلسيين في الفترة الأولى، فعرفت عدة مناطق بإنتاج أنواع جديدة من الاشجار في كل من فحوص شرشال القليعة، التي عرفت زراعة التوت الأبيض والأسود لإستعماله في تغذية دودة الحرير من جهة، وللاستهلاك من جهة أخرى. كما انتشرت حقول العنب ومزارع البرتقال حول البليدة والجزائر ، وأشجار الزيتون بنواحي عنابة حيث غرس مصطفى قرانداش الأندلسي أثناء إقامته بعنابة هروباً من الباي تونس حوالي 30 ألف عود زيتون² .

في حين مدينة تلمسان كانت تحيط بها البساتين الجميلة ، يتوجه إليها أيام السلم المورسكيون ليقموا فيها صيفا لإحتواءها على حدائق وأشجار الزيتون³.

أما أشجار الكروم فقد إنتشرت في فحوص مدن الجزائر، دلس ، وبجاية ، كان جزء من إنتاج العنب يحفظ على شكل زبيب ، و الباقي يحول إلى خل أو خمر من طرف المخمرين اليهود. بالإضافة إلى هذه الأشجار هناك أنواع أخرى تواجدت أيضاً بأنحاء الجزائر و فحوصها مثل أشجار الرمان، الإجاص، التفاح ، اللوز، الجوز، البرقوق وغيرها.

¹ - سهام يومعزة : المرجع السابق ، ص283.

² - ناصر الدين سعيدوني ، المهدي بوعبدلي : المرجع السابق ، ص59.

³ - أمين محرز : المرجع السابق، ص ص 122 123.

ب . الحبوب:

إهتم الفلاح الجزائري في العهد العثماني بزراعة الحبوب بكل أصنافها، من أجل توفير قوتهم اليومي، كما اعتبرت أيضا هذه الحبوب من قمح، شعير و أرز غنيمة تحفظ لهم البقاء، بعد الضعف الذي أصاب الأسطول البحري أواخر العهد العثماني.

فالقمح يعد من أهم المحاصيل الزراعية الذي كان يزرع في مناطق مختلفة من الجزائر. إذ ذكرت المصادر أن القمح الجزائري كان ينافس محاصل الدول الأوروبية في الأسواق العالمية، ويؤكد هذا القنصل الأمريكي شالر بقوله "... وهذا القمح مشهور في الأسواق الإيطالية. ويفضله التجار على جميع أنواع القمح الأخر بسبب جودته، تصنع منه مختلف المنتجات كالعجائن."

ويقال أن " ولا يزرع الجزائريون الحبوب بقدر ما يزرعها المورسكين، فالعرب يزرعون القمح والشعير.¹"

ولقد كانت كميات كبيرة من القمح تنتجها سهول قسنطينة ، متيجة ، معسكر، ففي مدينة عنابة كانت تنتج كميات تتجاوز أربعين حمولة أي ما يعادل 16000 قيسة من الحبوب²، إلا أن أجود أنواع القمح كانت تنتج في منطقة الشرق³.

أما الشعير فكان يزرع في الأراضي الأقل جودة حيث يعطي محصولا أفضل من القمح. ولقد كان مردود الشعير في المتوسط تسعة عشر قنطارا تقريبا ، وفي بعض الحالات الإستثنائية يصل إلى أربعين قنطارا في الهكتار الواحد. في حين الأرز لم يكن يزرع في كل مناطق الإيالة بل كان بشكل محدود في نواحي بجاية وبالقرب من مدينة مليانة على ضفاف وادي مينة⁴، ومعسكر، مستغانم، وفي الجهات الغربية من متيجة⁵

¹ - سهام بومعزة: المرجع السابق، ص 247-249.

² - محمد دلباز: الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر في أواخر العهد العثماني على ضوء دفتر التشريعات، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة جلالى اليابس سيدي بلعباس، 2014، 2015 م، ص30.

³ - سهام بومعزة: المرجع السابق، ص250.

⁴ - أمين محرز: المرجع السابق، ص122.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني و المهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 59 .

لم يكن الإنتاج يتعدى 5، إلى 6 آلاف قنطار سنوياً إلا أنه كان يؤمن جزءاً كبيراً من الإستهلاك المحلي.¹

ت . البقول والخضر :

تنوعت الخضر و البقول فشملت البصل الثوم، الجزر، اللفت، اللوبيا ، الخيار ،السلطة البطاطا، و الباتتجال² ، الكسبر، البسباس، النعناع ، الكرفس ، وهذه المنتوجات كانت تزرع في مناطق داخلية وساحلية خاصة³ وفي فحوص المدن لتوجه إلى أسواقها للإستهلاك ، إختلفت أسعارها إذ ذكر ناصر الدين سعيدوني " ... كانت مائة حبة من البصل تباع بـ 30 سنتيمات ومائة حبة من الطماطم بما يعادل فرنكا واحد عند نزول الجيش الفرنسي بمدينة الجزائر (1830م)" أي أواخر العهد العثماني . كما أدخلت أنواع جديدة من الخضر لم يكن يألفها السكان من قبل مثل القرنون الكراث ، الجلبان، الفلفل والبطاطس ،التي كانت تنتج في البلاد .

ث . الفواكه :

ومنها التين ، الكروم ، الخوخ ، الإجاص ، اللوز والجوز، الخروب، التين الشوكي ،القرمز⁴ و البلوط . وهذه المنتوجات إعتمدت على طبيعة المناخ الرطب ذو التربة الخصبة⁵ . حتى أن حسن الوزان إنبهر بتنوع الفواكه التي كانت تنتجها البلاد شهد بأنه لم ير لها مثيلاً فقال عن تلمسان : " وفي تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية فيعم المدنيون بسكانها في الصيف، حيث الكروم المغروسة ممتازة ، تنتج أعناباً من كل لون طيبة المذاق جداً ، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم

¹- أمين محرز: المرجع السابق، ص122.

²- الباتتجال: { bitanjel } يسمى الباتتجال نسبة إلى مقاطعة في الأندلس تسمى ببتانجال ، ينظر ناصر الدين سعيدوني : دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر ، ط2 ، البصائر للنشر و التوزيع ، 2013 م ، ص44.

³- عز الدين بلعدي: "التجارة الخارجية للجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية والأثرية، م3، ع1، 2023-04-03، د.ص .

⁴ - القرمز: هو عبارة عن فاكهة تستعمل في صباغة المنتوجات وتلوينها في مدينة البليدة ودلس، ينظر عز الدين بلعدي ، المرجع السابق ، ص44.

⁵- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص59.

أر لها مثيلاً في جهة أخرى ، والتين الشديد الحلاوة ، وهو أسود غليظ طويل جداً ، يجفف ليأكل في الشتاء والخوخ و الجوز واللوز. و البطيخ و الخيار وغيرها من الفواكه المختلفة ¹

والفواكه عادة تحتاج إلى رطوبة لكي تتكامل عصارتها ، وتأخذها من جذورها الممتدة من الأرض، وإلى الحرارة بحيث لا تصل إلى درجة الصفر وقت النمو اذ يقضي ذلك على الثمار. كما تحتاج الفواكه وقت النضج إلى أشعة الشمس كي تنضج ثمارها، وتكتسب طعماً لذيذاً، كذلك نجد أن إيالة الجزائر وجدت فيها العديد من الفواكه لملائمة المناخ لطبيعية نموها، فازدهرت البساتين بأراضي الفحوص المحيطة بالمدن الكبرى كوهان ،معسكر، تلمسان ،المدية، البليدة ، القليعة ،عناية، و قسنطينة² ، إلا أن فحوص مدينة الجزائر كانت أكبرها مساحة وأكثرها إنتاجاً، فهي تمتد بمحاذاة المدينة على مسافة عشر فراسخ، وتضم 20000 ما بين بستان ومزرعة، ³.

ج . القطن الكتان:

كان الجزائريين يقومون بزراعة الكتان في جهات متعددة ، وهو من النوع الممتاز، حتى أن الديوان كان يرسل منه هدايا إلى القسطنطينية ، إلى أن الكتان المستخلص من المحاصيل الزراعية التي تضاءلت في العهد العثماني بنواحي عنابة، بعدما كان يزرع بكثرة في السهول المحيطة بالمدينة، فعوض بالصوف والوبر الذي كان يتوفر في الإيالة بكثرة لوفرة الحياة الرعوية⁴ . وقال عنه الورثاني " أنه كثير وكتان جيد"⁵، وكذلك موجود بكثرة في مدينة برشك بحيث يتم نقله بحرا إلى الجزائر العاصمة وبجاية وتونس ويستفاد منه ربها حسناً⁶ . أما القطن يحتاج في فترة نموه إلى وفرة أشعة الشمس وإلى طقس دافئ ليلا ونهارا، بحيث يطول فصل نموه، الذي لا يقل عن 180 يوما

¹- حسن الوزان : المصدر السابق ، ص 20 .

²- سهام بومعزة : المرجع السابق ، ص 267 .

³- ناصر الدين سعيدوني : النظام المالي في أواخر العهد العثماني، المرجع السابق ، ص 32.

⁴- سهام بومعزة : المرجع السابق ، ص 304 .

⁵- الحسين بن محمد الورثاني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار،تح محمد بن أبي شنب د . ط ، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية ، ص88.

⁶- حسن الوزان : المصدر السابق ، ص 33.

ويفضل أن يكون 200 يوم خالية من الصقيع الذي يضر شجر القطن ضررا بالغاً، أي يزرع في نهاية فصل الشتاء ويجمع في نهاية فصل الخريف¹.

وزراعة القطن هي زراعة أدخلها الأندلسيون وأنتجوه في مدينة مستغانم و لم تكن هذه الزراعة معروفة لدى العرب². إنتشر في أغلب مناطق المغرب الأوسط لما له من أهمية في صناعات خاصة صناعة النسيج، خاصة في ضواحي مدينة مستغانم منذ مطلع القرن السادس عشر، وكان هذا العامل من بين العوامل التي جلبت الأندلسيين للإستقرار بهذه المدينة . وبدورهم ساهموا في إثرائها وتوسيع صناعتها³.

ح . التبغ:

يزرع التبغ في المناطق المتوسطة وهي نبتة تتطلب توفير الرطوبة بقدر معتدل و بصفة مستمرة طول فترة الإنبات. تحدد خصائص البيئة الطبيعية في مناطق زراعة التبغ نوعية الإنتاج ومدى جودته إذ يحتاج إلى درجة حرارة معتدلة ودافئة وإلى جو رطب خال من الرياح التي تؤدي إلى تمزق الأوراق. وإلى فصل خال من الصقيع، و مصدر ثابت للمياه⁴.

فالتبغ من النباتات الصناعية التي كانت تزرع في إيالة الجزائر، ينتشر بنواحي عنابة وجهات من دار السلطان فكانت الجزائر تنتج أجود أنواع التبغ في العالم ما جعل إزدياد الطلب عليه في المشرق العربي، تونس، وطرابلس . ما جعل زراعة التبغ تحتل أكبر مكانة بعد زراعة الحبوب ويذكر فانتور دي بارادي "...بأن التبغ في إيالة الجزائر من أهم المحاصيل الزراعية ، حيث وصفه أنه جيد جدا في التدخين"⁵.

وقد إعتبرت كل المحاصيل المتمثلة في التبغ ، القطن والكتان وحتى الأرز التي كان يستهلك جزء منها للأهالي، ويبيعون الباقي لوكلاء البايك.

¹- سهام بومعزة: المرجع السابق، ص305.

²- صالح عباد :المرجع السابق، ص336.

³- فتيحة واليش : الحياة الحضريّة بباليك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر، 1993 . 1994 م ، ص 60 .

⁴- ناصر الدين سعيدوني ،المهدي بوعبدلي : المرجع السابق، ص59.

⁵- سهام بومعزة، المرجع السابق، ص304.

المطلب الثاني: الوسائل الزراعية ,

إستعمل في إيالة الجزائر في الجانب الزراعي خلال العهد العثماني العديد من الأدوات الزراعية التي إختلفت من منطقة إلى أخرى إلا أن المستوى كان بدائيا تقليديا ، أي أن نمط الإنتاج كان يفتقر إلى الإستثمار و الإعتماد على وسائل جد بسيطة كالمحراث الخشبي، المنجل البدائي إذ يقول ناصر الدين سعيدوني في هذا " تقنيات وأساليب العمل في المجال الزراعي كانت بدائية". لكن تجدر الإشارة إلى طائفة الأندلسيين الذين كان لهم الفضل الكبير في إدخال عدة تقنيات ووسائل ساهمت في تطوير الزراعة في إيالة الجزائر منذ أواخر القرن الثاني عشر.¹

أ . المحراث:

يعتبر من الأدوات التي ساعدت كثيرا على الفلاحة وهو ما جعل الإنسان الجزائري خلاله العهد العثماني يستخدم المحراث الخشبي البسيط الذي رغم ضعفه وقلة مردودية إنتاجه، إلا أنه كان يشكل أهم آلة في ذلك الوقت فهو العنصر الأساسي للعمل الزراعي، له أنواع مثل محراث إفريقيا الرومانية الذي لم يخضع لأي تعديل. يتكون المحراث الذي يستعمله الجزائريون من قطعتين خشبيتين قصيرتين مجتمعين مزودة بسكة حديدية في طرفه الأسفل، إقتصر على ملامسة سطح الأرض فقط دون تعمقه، يتم ربطه على جبهة الحيوان حتى يستطيع جره بقوة ،وفي غالب الأحيان ما يجر بثور أو بغل، أما إذا كانت الأرض صلبة يتم الإستعان بزويجة . وفي هذا يقول محمد الأمين البزار نقلا عن سهام بومعزة " كان العمل في الحقل ما يزال قائما على قاعدة مادية ضعيفة فهو يعتمد أساسا على تقنيات بسيطة، يشكل عنصرها الأساسي المحراث الذي لم يطرأ عليه تغيير منذ عهد نوح".²

ب . المنجل:

هو وسيلة من الوسائل التي كانت كثيرة الإستعمال، في المجال الزراعي في تلك الفترة يستعمل في حصاد الأرض وغيره من المنتوجات إلى أنه يتلف السنابل أكثر مما يحصدها³.

¹- ناصر الدين سعيدوني ،المهدي بوعيدلي: المرجع السابق، ص57.

²- سهام بومعزة: المرجع السابق، ص 201-200.

³- ناصر الدين سعيدوني ،المهدي بوعيدلي: المرجع السابق، ص 57 .

إستعماله جد متعب للطريقة التي يفرضها من إحناء و إستقامة فهو عبارة عن قضيب من الخشب يوضع المنجل في طرفه المعقوف يكفي أن يضرب الفلاح السنابل وهو قائم لتحصد بشكل أحسن، يقول هاينريش فون مالتسان "... وكان المنجل العربي يحصد في ذلك الوقت سنابل القمح الذهبية.. . مناجيل بشكل هلال".¹

ت . الفرشاة:

أداة لجمع السنابل بعد الحصاد، فكان الفلاح الجزائري يستعمل الفرشاة البسيطة² لجمع بقايا الزرع³ .

ث . الفأس:

تعد الفؤوس أهم الأدوات التي إستخدمها الإنسان مع نشأة الزراعة، إذ يتم من خلالها حفر الطبقة السطحية للتربة وإعدادها للزراعة. كانت هذه الفؤوس تصنع من الصخور السائدة في الإقليم سواء كانت من نوع الصخور النارية أو الرسوبية ، وتضع إما بطريقة الصقل أو التشطيب ، أو بالطريقتين⁴ يقول ابن خلدون عن الفأس "جمع معول ، وهو الحديد تنقر بها الجبال، أو هو الفأس".⁵

ج -المخابئ (المطامير):

هي من الوسائل الهامة التي إستعملها الفلاح الجزائري لتخزين المنتج في مطامير أو في أكياس من الصوف المعروف بالتليس المخصصة لتخزين القمح، أو يخزنون في الجرات الكبيرة في حين كانت توجد هناك مخابئ تحت الأرض للإحتفاظ بالحبوب من فصل لآخر، توضع في أماكن مختارة تذخر فيها الحبوب لوقت الحاجة⁶. ،أو في أماكن بعيدة عن الهواء والرطوبة، فهناك من يخبئ بهم القمح لعدة سنوات ما يفوق عن عشر سنوات إلا أن أثناء طحنه يفقد لونه الأبيض وبالتالي

¹- سهام بومعزة، المرجع السابق، ص202.

²-ناصر الدين سعيدوني : النظام المالي،المرجع السابق ، ص 33

³- أبو قاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ ، المرجع السابق ، ص150 .

⁴- سهام بومعزة :المرجع السابق ، ص208 .

⁵- ابن خلدون: المصدر السابق، 193.

⁶- نور الدين عبد القادر : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ،دار الحضارة، 2006م، ص 273.

يختلف عن القمح الجديد الذي يقدم للضيوف كشيء نادر مثلما يقدم في أوروبا الخمر المعتقد أنشاء وجبات الغذاء، يدعى هذا النوع من القمح بقمح المطمورة¹.

تحدث مول في كتابه نقلاً عن سهام بومعزة عن هذه المطامير اذ يقول " بأنه شاهد عدة مطمورات يصل عمقها إلى 4 أو 5 أمتار وعرضها إلى مترين ، ويتم حفرها لمدة محددة محددة قبل الشروع في استعمالها للتخزين حيث تترك معرضة للشمس بعض الوقت حتى تجف"².
ح . الري:

ساعد الأندلسيون في تطوير الزراعة بالجزائر من خلال معرفتهم لطرق الري الملائمة ، فقد أقاموا في المناطق التي توجد بها أحواض ، صهاريج ، سواقي، قنوات ، وبنوا حنايا، قناطير الناعوارت في الجهات القريبة من الجزائر في كل من سهول الحامة ، واد كنيس ، بئر خادم، بئر مراد رايس ، بني مسوس ، وادي المغاسل إذ إنتشرت فيها النوريات الأحواض والسواقي.
كما إستغلوا العيون الواقعة بالمرتفعات، فاستعملوا جزءاً منها في ري البساتين فالصانع الأندلسي موسى عمل على جلب مياه عيون الحامة إلى مدينة الجزائر في عهد مصطفى باشا(1610-1613م) عبر قناة طولها 4500م³ .

أما في فحص البليدة فقد قام الأندلسيون الموريسكيون بتحويل مياه واد الرمان الذي أصبح يعرف بوادي سيدي أحمد الكبير الأندلسي النابع من جبل الشريعة إلى قناة رئيسية طولها 1500 متر، الذي وصل منسوب المياه فيه إلى 200 00 لتر يوميا ، وجه جزء منها إلى عدة سواقي لري البساتين . كذلك في القليعة عملوا على إستغلال بعض العيون لري البساتين، والوديان كواد مازفرات القريب من بعض البساتين⁴.

¹- حمدان بن عثمان خوجة: المرأة ، تح محمد العربي الزبيري ، سلسلة التراث، 2005 م، ص ص 36،37.

² - سهام بومعزة : المرجع السابق ، ص 209

³- ناصر الدين سعيدوني : "الأندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر دار السلطان أثناء القرن السادس عشر والسابع عشر"، مجلة جامعة الجزائر، م7، ع1، 1993 م، ص112.

⁴- ناصر الدين سعيدوني : دراسات أندلسية ...، المرجع السابق، ص . ص 45 . 60 .

أيضا في مدينة شرشال جلبوا المياه من منبعين يقعان في المرتفعات الشمالية الشرقية عن طريق قنوات مصنوعة من الفخار والطين المعالج.¹

فكان الهدف من تطوير الري بالجزائر في هذه الفترة إستغلال العيون والوديان لعدم تمكنهم من إستغلال مياه الآبار الواقعة قرب الساحل لشدة ملوحته التي تقتل الزرع بدل من إروائه . أما طريقة ري المزروعات ، فكان يستخدم بالنسبة للحبوب وأشجار الفواكه خاصة البرتقال والليمون أحواض من التراب من خلال إحاطة الشجرة بالتراب ليصل إليها الماء عبر السواقي التي تنطلق من الحوض الكبير الذي يتجمع فيه الماء. أما في الحقول فالري كان أكثر بساطة، لكنه لا يتناسب سوى مع الأراضي المسطحة على طول مجري مائي وتكون شيئا ما مرتفعة على مستوى هذا الأخير، بشكل يجعلون به المياه يتجمع ويفيض على الأرض المراد ريها، ويرفعون المناطق المنخفضة من الأرض بالتراب حتى لا يتجمع فيها الماء محدثين مخارج في التراب حتى ينتشر في الأرض ، وعند ما يريدون إيقاف الري يفتحون الحاجز.

خ . السماد:

يعتبر التسميد أحد الخطوات المهمة في العملية الزراعية ، إذ يجعل الأرض أكثر طيبة وغنى بالمواد العضوية ، ويصلح الأرض الهشة الرديئة التي لا تعطي منتوج وفير.²

كان يعتمد في تسميد الأرض على الأعشاب المحروقة وفضلات الحيوانات لإخصابها ، أو يترك الفلاح الأرض بورا لمدة سنة أو أكثر حتى تستعيد خصوبتها³. أو يتم حرق الأعشاب الضارة قبل نزول الأمطار أي بين أوت وسبتمبر يقول روزي نقلا عن سهام بومعزة "إن العرب يستعملون السماد في غالب الأحيان، فقد يقومون بقطع الأعشاب والأشواك الغابية و يصنعونها على شكل أكوام صغيرة تجف لبضعة أيام ثم تحرق بعدها بالنار وتصبح تلك الأعشاب رماد وبعدها ينثر على الحقل ، كما أنهم يقومون بإشعال النار في نهاية فصل الصيف ، حتى لا تكون هناك مشقة في حرث الأراضي لإستخراج الجذور".⁴

¹- ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق، ص 66.

²- سهام بومعزة : المرجع السابق، ص 209.

³- ناصر الدين سعيدوني ،المهدي بوعبدلي : المرجع السابق، ص 57.

⁴- سهام بومعزة: المرجع السابق، ص 205.

أما الطريقة الأخرى المعتمد في تسميد الأرض لتخصيب تربتها تستعمل فضلات الحيوانات عن طريق نشرها على سطح الأرض ، أو يتركونها لقطعانهم حتى تعيد تغذيتها طبيعيا بواسطة الروث الذي يعتبر سماد¹.

إضافة إلى هذه الطرق عملوا أيضا بالدورة الزراعية وهي نظام المناوبة الذي مارسه الفلاحون بمختلف الطرق حسب ملامح الإقليم. فهناك من يترك قسم من الأرض لرعي و قسم آخر يتم زراعته خلال السنة. فالتربية المتروكة للرعي تستعيد خصوبتها وتمكن الفلاح من إستغلالها السنة المقبلة، مما يؤدي إلى حصول على مردود وافر، وفي كل سنة يحدث التبادل بين القطعتين، أما بعض الفلاحين يعملون على تناوب المزروعات فمثلاً يزرع القمح على قطعة معينة ، وفي الموسم المقبل في نفس القطعة يزرعها شعير، وفي الموسم الثالث تزرع خضرا، وهذا ما يطلق عليه تعاقب الزروع².

المبحث الثاني : في المجال الصناعي

كان النشاط الصناعي في الجزائر خلال العهد العثماني موجها أساسا لسد حاجيات السكان لتصدير مع الخارج قصد الحصول على بعض المصنوعات الضرورية لتدعم قدرة الجزائر. والحضر في إيالة الجزائر لم تقتصر مساهمتهم في الجانب الإقتصادي على المجال الزراعي فقط بل تعدت مساهمتهم إلى المجال الصناعي، التي تجسدت من خلال الأعمال الحرفية المتميزة بجودتها وتعدد أصنافها .

و أهم ما ميز النشاط الصناعي هو إرتباطه بالأسر الحضرية ، خاصة الأندلسية التي إحتكرت أغلب الصنائع والحرف التقليدية، وبهذا شكلوا أغلبية الحرفين بالجزائر ما جعلهم يتمسكون بزمام الجمعيات الصناعية وهو ما صرحت به عائشة غطاس بأن تقديرهم كان 10% من مجموع السكان إلا أنهم مثلوا القوة الإقتصادية للإيالة لكثرة النشاط الحرفي والصناعي الممارس من طرف هذه الفئة

¹- فاتح بلعمري: محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر الإقتصادي، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص05.

²- سهام بومعزة : المرجع السابق ، ص 198.

سوء من الرجال أو النساء الحضريات. فلم تكن الصناعة في الفترة العثمانية متطورة بالمفهوم الحالي إلا أنها إستطاعت أن تغطي حاجيات السكان سواء في المدن أو الأرياف .

المطلب الأول :أهم الحرف والصناعات التي مارسها الحضر.

تعددت الصناعات والحرف الممارسة من طرف الحضر كالصناعة النسيجية، الجلدية، السفن، السلاح الحلي، والصابون التي كانت تستمد موادها الأولية من المصدر الحيواني و النباتي.

أ- الصناعة النسيجية :

كانت هذه الصناعة تعتمد على مواد خامة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام ألياف طبيعية نباتية والتي تشمل على الألياف المائية كالكتان، ألياف البذرة كالقطن، الألياف الطبيعية الحيوانية كالصوف ، الكشمير. أما القسم الثالث بالألياف المعدنية المتمثلة في الأسلاك والخيوط التي تزين المنتج النسيجي¹.

والصناعة النسيجية هي فن من الفنون التي نتجت من الحاجة لحماية الجسم البشري من التقلبات الجوية، ظلت تتطور تبعاً لرقى وتقدم المجتمع لأنه يعتبر من أهم مظاهر التمدن². تطورت هذه الصناعة منذ أن إستقر الأندلسيون بالجزائر حيث أعطى أفرادها حيوية و نشاط لهذه الصناعة لما توارثو من أساليب فنية لصناعة مختلف أنواع المنتجات الصناعية المتمثلة في صناعة الزرابي ، الشاشية، المخمل، الحايك، الأحزمة والمناديل³. المنتشر في الإيالة كندرومة، تلمسان، قسنطينة، الجزائر.

بالنسبة للأنسجة الصوفية التي تعتمد على الصوف المحلي كانت تصنع منها الأغطية والجلابيب والأحزمة في كل من معسكر تلمسان وقسنطينة. ففي تلمسان لزمّت هذه الصناعة المدينة عبر العصور، حتى تميزت المنتجات التلمسانية بجمالها و وحدة أبعادها وبساطة شكلها . ومساهمة مدينة تلمسان في النسيج كان دون منافس في بايلك الغرب نتجة الإنتاج الهام لمعامل الصوف بها،

¹- عمر بلوط : المؤسسات التجارية والحرفية بمدينة قسنطينة الفترة العثمانية دراسة أثرية، أطروحة دكتوراة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2017/2016، ص90.

²- رفيق شلابي ،ودان بوعفالة : "الحرف و الصناعات في مدينة تلمسان و ضواحيها خلال العهد العثماني 1555. 1830م"، مجلة دراسات و أبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، السنة الثالثة عشر م، 13، ع 1، جانفي 2021 ، ص232.

³- ناصر الدين سعيدوني ،المهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 69 .

إذ عرفت ندرومة لوحدها أزيد من خمس وعشرين محلا للنسيج، فإشتهرت تلمسان بإنتاج نوع من الأنسجة يسمى بـ " التلمساني " الذي كان على صنفين القسم الأول من الصوف الخالص، أما القسم الثاني مزيجا من الصوف والحريير .

ومن المنتجات النسجية نذكر أيضًا صناعة السجاد (الزرايبي) التي إشتهرت بها المناطق الغربية من الجزائر، خاصة الزرايبي ذات الطابع الأندلسي في منطقة هنين، تلمسان، وقلعة بني راشد¹، في مدينة الجزائر وجدت نحو 11 معملا لزرايبي تشتغل فيه نحو 1400 نسمة، بين فتيات ورجال² .

كما تحكمت أيضا مدينة الجزائر بصناعة الشاشية الجزائرية " الطاقية "، وهي مصنوعة من صوف ذات تجاويف، يستعملها كثيرا السكان، فشباب المدينة تميزوا بوضع طاقية حمراء بسيطة على رؤسهم أما النساء فكن يضعن طاقية مغطاة بالحواشي الذهبية والفضية يطلق عليها تسمية "الصارما".

اشتهر النساجون بصناعة ملابس الرجال والنساء مثل السراويل والبرانيس المصنوعة من الحريير أو الصوف المصممة بإتقان، فالبرنوس كان يباع بـ 100 فرنك للبرنوس الواحد وقد وصفه حمدان بن عثمان خوجه " البرنوس بكيس مثقوب في الوسط لإخراج الرأس وبه ثقبان أخران على الجنب لإخراج اليدين "

بالنسبة للمناديل والأحزمة هي أيضا كان لها رواج واسع بالإيالة. يذكر شالر بأنها "كانت تباع بأسعار أعلى قليلاً من مثيلتها الفرنسية و الإيطالية، لأنها كانت أجمل وأمتن و ألوانها جميلة ودائمة، وعلى العموم لا توجد بضاعة أوروبية تفوق المنتجات الجزائرية في هذا المجال"³.

وعند قدوم العنصر الأندلسي أدخل نسيج القطيفة و هي صناعة مستحدثة في إيالة الجزائر أتوا بها من غرناطة . نشط في هذا النوع من النسيج الأندلسيين الذين إستوطنوا شرشال، القليعة⁴.

1- رفيق الشلاي، ودان بوغفالة : المرجع السابق، ص33.

2- وليام شالر :المصدر السابق، ص94.

3- نفسه، الجزائر، ص93.

4- مفيدة بن يوسف : المرجع السابق ،ص123.

وللإشارة فإن صناعة النسيج إرتبطت بصباغة الملابس ، وكل من بليدة و دلس كان يتم فيها صباغة الملابس والبرانيس ، كما أعدت أربع مصانع للصباغة¹. وكل المصنوعات النسجية تميزت بالجودة حتى كان الحكام في الإيالة يقومون بإرسالها كهدايا إلى سلاطين الدولة العثمانية².

ب صناعة الجلود:

كانت صناعة الجلود صناعة منتشرة في كل مدن وحتى بوادي الإيالة في الفترة العثمانية إلا أنها عرفت تطورا نوعا ما بفضل الحضر الذين كانوا يمتنون هذه المهنة خاصة من طرف الأندلسيين الذين تميزوا بالدقة في عمل المصنوعات الجلدية من أحذية وسروج .

إشتهرت عدة مدن بصناعة الجلود مثل مازونة التي كانت كل أحيائها مخصصة لصناعة ودباغة الجلود، وقدر ناصر الدين سعيدوني " أكثر من 15% من اليد العاملة تتوزع حسب الترتيب: 150 عاملا في المدايق البالغة عددها ثلاثة وثلاثين، 210 عاملاً في المشاغل الخمسة والسبعين المعدة لصنع السروج و 480 عاملا يشتغل في المائة وسبعة وستين محلاً لصنع الأحذية"³.

وما ساعد على وجود صناعة الجلود بشكل كبير في إيالة الجزائر هو كثرة المواشي بجميع أصنافها من أبقار وأغنام وكثرة الأراضي الرعوية التي مكنت من تزايد عدد هذه المواشي. كما أن في هذه الفترة كان قانون يسمى القانون الداخلي المحلي، تخضع له القبائل في حياتها اليومية، إذ ينص أن من يتعدى على جيرانه أو يتشاجر مع غيره أو يتعصب لجماعة ظلمة أو يتعدى على امرأة تعاقبه قبيلة وأعيانه بذبح عدد كبير من أبقاره حسب الجريمة التي قام بإرتكابها ، كذلك هذه الحيوانات تذبح بكثير في الأعياد و المناسبات الدنية والعائلية ، وبالقطع يؤدي بالضرورة إلى وفرة المادة الأولية المتمثل في " الجلود"⁴، إضافة إلى وجود أحواض خاصة خارج مدن الجزائر تعالج فيها الجلود قبل توجيهها إلى معامل الإسكافين⁵.

¹- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 69.

²- محمد دلباز : المرجع السابق، ص 156.

³- ناصر الدين سعيدوني ،الهدى بوعبدلي: المرجع السابق، ص 69.

⁴- عمر بلوط: المرجع السابق ، ص 38.

⁵- العقيد ميمن داود : "الهجرة الأندلسية و دورها في بناء القوة العسكرية للجزائر ما بين 1492- 1610 م"،مجلة الدراسات التاريخية العسكرية ، جانف 2020 م ، ص 67 .

كانت هذه الحرفة تنشط على ضفاف الوديان كواد الرمال وعلى أرضية غير مستوية فإختيار هذه الأماكن ليس بالصدفة إنما لأسباب صحية ،كون هذا الجلود تصدر روائح كريهة جدا أثناء مرحلة الدباغة تحتاج إلى كميات كبيرة من الماء وإلى مساحات واسعة لغرس الجراز أو بناء الأحواض التي تستعمل في غطس الجلود، وهذا من جهة إختار الأماكن، أما عملية دباغة الجلود فتبدأ من غسل وتنظيف الجلد وتزويده بالجير ثم إزالة الشعر عليه ثم وضعه في الماء الدافئ لتوسيع المسماة ، بعدما تترك الجلود داخل الماء والجير لمدة واحد وعشرين يوم لإكمال مرحلة الدبغ¹ ،وتوجيهها إلى الصناع المختصين في صناعة السروج (السراجين) وإلى الخزائين الذين يصنعون الأحذية² .

وأكثر الصناعات الجلدية إنتشارا هي صناعة السروج والألجمة ولوازم الخيول نظرا لإهتمام الجزائريون بالخيول وتربيته إضافة إلى توفير كل إحتياجات القوات العسكرية من أحذية وقرب³.

ت . صناعة الأسلحة:

تتمثل في صناعة البنادق و سبك المدافع ، وتحضير البارود . كانت هذه الصناعة متواجدة في كل من قسنطينة والجزائر ، قلعة بني راشد. لقد إهتمت العائلات الأندلسية بهذه الصناعة أيضا⁴ حيث ساهموا بخبرتهم وكفاءتهم في صناعة الأسلحة ، فأحسنوا إستغلال المعادن الموجودة بالجزائر آنذاك كالحديد ومادة الزئبق والنحاس في إعداد أسلحة ومعدات عسكرية ، فصنعوا البنادق الجيدة المرصعة بالفضة والمرجان .

أطلق على صناع الأسلحة بإسم قنداقجية ،فعملوا على إنشاء محلات ودكاكين لهذا الغرض في أسواق مدينة الجزائر في كل من باب عزون وباب الواد وفي هذا الصدد يقول سعيدوني "... وقد

¹- عمر بلوط : المرجع السابق، ص49.

²- رفيق شلابي، ودان بوغفالة: المرجع السابق، ص834.

³- محمد دلباز : المرجع السابق، ص 152.

⁴- سميرة طالي معمر : القوى المحلية في بابلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني 1260هـ - 1246هـ الموافق ل 1792م - 1831م، مذكرة ماجيستر، قسم تاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص19.

كان أغلب الإنتاج الصناعي للأندلسيين المورسكين في ورشات بسيطة... ففي مدينة الجزائر مثلاً إشتهرت أسواق الشواشي ، والنجارين ... و الشقما قجية (أو باعة السلاح). "

لقد نجح الحضر في بعث وتطوير صناعة الأسلحة بحيث عملوا على تعزيز دفاعات المدن بوضع المدافع في القرن 17 م ومن بين أهم المدافع التي صنعوها مدافع بابا مرزوق 1542. وجل المدافع التي حصنت بها مدينة الجزائر صنعت محليا. مثل مدينة الجزائر في المنطقة الواقعة بضواحي باب الواد المعروفة بدار النحاس¹. أما صناعة البارود التي تدخل أيضا ضمن صناعة الأسلحة فقد عرفت قبل القرن 16م و راجح أن إنتشارها كان بفضل الأندلسيين النازحين في القرن 15م، أين وجدت هذه الصناعة في العديد من المدن الكبرى كقسنطينة، الجزائر، تلمسان وغيرها من مدن الإيالة².

ث . صناعة الفخار:

إنتشرت الصناعات الفخارية في معظم المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، خاصة في بايلك الغرب بسبب قدمها و توارثها وتوفر المادة الأولية المتمثلة في الطين لصناعة مختلف الأواني الفخارية للإستعمال اليومي كالصحون، الأبارق، الجرار بمختلف أنواعها وحتى صناعة مواد البناء كالقرميد ، الأجور، والزليج.

كان الإنتاج متفاوت من حيث الجودة من منطقة إلى أخرى ، إلا أن أجوده كان يصنع في مدينة ندرومة القريبة من تلمسان حيث وجدت بها ثمانية مصانع وثلاثة أفران لتجفيف القطع المصنوعة في كل مصنع كان ينتج 50 قطعة فخارية في الأسبوع³.

وبمدينة الجزائر انشرت الورشات بضواحي باب الواد، وأقيمت أفران تسخين الفخار داخل المدينة.

¹- دار النحاس: هي عبارة عن مبنى ضخم واقع من جهة باب الوادي، يحتوي على فرن وحيد لكنه جيد البناء يستعمل لسبك المدافع، ينظر أمين محرز: المرجع السابق، ص182.

²- جمال بوطي، عبد الكامل عضية: "الهجرة الأندلسية ودورها في تنشيط الحركة الصناعية"، مجلة الحوار المتوسطي، م13، ع2، سبتمبر 2022، ص ص 342،344.

³- رفيق شلابي، ودان بوغفالة: المرجع السابق، ص833.

عرفت صناعة الفخار نقلة نوعية على يد الحضر خاصة الأندلسيين الذين تفننوا في صناعة الزليج الذي إستعمل في تليط أرضية المنازل، وتزين المساجد ، والعيون والأبواب .
 فيما يخص أسعار المنتجات الفخارية حسب ما ورد في دفتر التشريعات نقلاً عن محمد دلباز " أسعار فخار البايك اللازمة والصادرة من قبل أمين الفخارين : أباريق 10 ريال، صحنون 5 ريال جرة صغيرة 2 ريال". أما في قانون الأسواق أسعار المنتجات كما يلي : التاجر يبيع في المدينة بالتسعيرة التالية . الأبريق بـ 3 درهم ، القلا بـ 3 ، القادوس بـ 5¹

ج . الصناعة الخشبية والسفن:

كانت الصناعة الخشبية في المدن من أكثر الصناعات تطوراً ، حيث وجد بها عدد من النجارين والخراطين الذين كانوا يصنعون الأثاث المنزل، الصناديق ، الخزائن ، النوافذ الأبواب المنزلية مستخدمين النقوش المطعمة بالعاج . تفننوا فيها الحضر إذ قدر عدد الخراطين من أصل أندلسي². ففي قصبة مدينة الجزائر خلال مطلع القرن 17م بستة وأربعين خراطاً إعتد في هذه الصناعة على عدة أنواع من الأخشاب مثل أشجار البلوط، الدردار ، والزيتون التي كانت تجلب من غابات منطقة القبائل وجيجل ، القل أو الأوراس .

أما صناعة السفن في الفترة العثمانية فكانت عمل حكومي نظامي تشرف عليه الحكومة ، إلا أن بعض الأفراد مارسوا هذه الصناعة لكن في نطاق ضيق ، فكان اللاجئون الأندلسيين المعروفين بالمودجال يقومون بصناعة سفن صغيرة ويجهزونها بالمدفعية لمهاجمة العدو. وهو ما جعل ورشات بناء السفن في الإيالة تتزايد في شرشال وبجاية. فبرعوا في أشكالها خلال عدة سنوات فقط³، فيذكر حسن الوزان أنه "كان أهل بجاية على قدر عظيم من الغنى ، يتسلحون العديد من السفن الحربية المختلفة ويرسلونها لغزو شواطئ إسبانيا..."⁴

¹- دلباز محمد: المرجع السابق، ص 154.

²- أبو قاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، الجزائر 1982 م، ص 162.

³- مفيدة بن يوسف: الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيرتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني القرنين السادس عشر و السابع عشر. 16، 17 م ، رسالة لنيل شهادة الماجستير تاريخ حديث و معاصرة 2010 . 2011م، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 2 ، ص 123.

⁴- حسن الوزان: المصدر السابق، ص 50.

ومن السفن التي صنعوها الفرقاطة¹ و البريغانتين في ورشات مدينة شرشال².

ح . صناعة الحلي:

إختص بها بالدرجة الأولى الجالية اليهودية إلا أننا وجدنا إهتمام بعض الحضر الذين مارسوا هذه الصناعة في كل من تلمسان قسنطينة والجزائر بصفة خاصة، وحفزتهم الأموال والأرباح الطائلة التي كانت تجنى من هذه الصناعة³.

عرفت صناعة الحلي تطورا ملحوظا حيث كانت النساء تنزين بقبعات غالية متقنية الصنع وخلاخل لتزين رجلها، وأساور تملأ بها ذرعها. تتم هذه الصناعة بعد عملية صهر المعادن للحصول على سائل معدني من أجل تحويله إلى حبيبات وأسلاك من الفضة ، الذهب أو الحديد، لتصنع منها عدة أشكال⁴. و من أشهر راود هذه الصناعة الحاج أحمد المقاييسي بن فاضل يحي الأندلسي⁵.

خ . صناعة الصابون والعطور:

إرتبطت بالصناع الأندلسيون الذين إستحضروا أنواعاً من الورود وزهور عديدة من العقاقير، وإستخلصوا المياه المقطرة من الورود، وزهور الأرنج والبرتقال لإنتاج العطور .فقد نشط العنصر البلدي في حرفة العطارة إذ مارسها الحاج محمد عبد الرحمان بن محمد البلدي العطار، وأيضا مارسها الأسر الشريفة وتولوا أمانتها كالسيد علي بن راشد حتى أن العائلات الشريفة والبلدية إحتكرت هذه الحرفة ، ففي سنة 1699-1702م رصدت ثلاث حالات للإحتكار إثنان من الأشراف وهما الحاج محمد الشريف البجائي العطار، والحاج سليمان الشريف العطار، أما الثالث فلقد كان من الحضر وهو الحاج علي العطار. ومن هذا يتضح أن حرفة العطارة هي حرفة محتكرة بالدرجة الأولى من طرف الأسر البلدية والأسر الوافدة من الحواضر الأخرى⁶.

¹ - الفرقاطة: (frégate) إحدى أكبر سفن الأسطول الجزائري العثماني، ذات الأشعة والمجادف، يحرك كل اثنين أو ثلاثة مجدافا، تستطيع حمل نحو ثمانين بحارا وحوالي 29 راكبا آخر من التجار، تتميز هذه السفن بسرعتها الفائقة . ينظر سهيل سابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات

العثمانية التاريخية، مكتبة الملك الفهد الوطنية، الرياض، 2000، ص163.

² - العقيدة ميم داود : المرجع السابق، ص68.

³ - سمير طالي معمر: المرجع السابق، ص19.

⁴ - رفيق شلاي، ودان بوغفالة: المرجع السابق، ص834.

⁵ - عائشة غطاس: المرجع السابق، ص284.

⁶ - عائشة غطاس: المرجع السابق، ص284.

د . حرفة الطرز:

عرفت كل من تلمسان، مازونة، معسكر، و ندرومة الطرز على الجلود والأقمشة والحريز، إذ كانت تستعمل في هذه الحرفة خيوط الذهب أو الفضة، أو خيوط الحريز، لزخرفة عدة أشياء كالأحذية، أكياس النقود، الطرابيش، الألبسة، والزراي¹، والأحزمة وحتى السروج الفاخرة.

فالطرز كان متداول في الحواضر، إلا أن طرز ندرومة يعكس ذوقاً كبيراً، توسعت حرفة الطرز وتطورت بشكل ملحوظ لكونها لم تكن تتطلب أدوات وتقنية متطورة²

كل هذه الحرف التي تطرقنا إليها، كانت منظمة تنظيمًا محكمًا يشرف عليها أمين يتم إختياره من أصحاب الحرفة نفسها، يتصف بالأمانة والصدق، الكفاءة والمهارة و لا يتم إختياره إلا بعد موافقة السلطة العليا المتمثلة في حاكم الجزائر " دار السلطان " مهمته مراقبة الجودة وحل النزاعات والخصومات بين الحرفين، وكذلك الدفاع عن حقوقهم بالتوسط بينهم وبين السلطة. وإلى جانب الأمين هناك مساعدون يترتبون حسب المقام الأعلى الشاوش، الخوجة، والرفقاء مهمتهم مساعدة الأمين في تأدية وظيفته.³

المطلب الثاني: دور المرأة الحضرية في النشاط الحرفي.

بما أن المرأة تمثل نصف المجتمع فإن وضعها الإجتماعي سواء داخل الأسرة أو خارجها أكسب المجتمع أهمية كبرى لما تعاطت من نشاطات حرفية مكنتها أن تصبح عنصراً فعالاً ومنتجاً لا يستهان به للنهوض بقطاع الحرف التقليدية ، وإبراز إمكانياتها الحرفية و الدور الفعال الذي تقوم به من أجل المجتمع كونها توفر منتوجات ضرورية للحياة اليومية ، أثبتت الدراسات وجود فئات متنوعة المشارب لنساء مجتمع الجزائر، ألا ومن بينهم الحضريات اللواتي قدم المؤرخون إحصاء نسبياً لهن من خلال ماورد في دفاتر بيت المال، إذ عثر على أربعين وأربعمئة حالة من مجموع

¹ - ينظر إلى الملحق رقم 2 ، 3 .

² - فتيحة لواليش : المرجع السابق، ص63.

³ - عبد الفتاح بن جدو : " نظرة على الصناعة و الحرف بالجزائر خلال العهد العثماني "، المجلة التاريخية الجزائرية ، م 6، ع1، 2022 م، ص ص 508، 509.

خمس وستين وستمائة حالة أي ما يمثل نسبة 66.46% من المجموع الكلي لكل فئات النساء في الفترة الممتدة من 1795 إلى غاية 1817 م وبذلك مثلت الحضريات نسبة هامة¹.

فالمرأة الحضرية في الفترة العثمانية بإيالة الجزائر مارست حرف متنوعة في بيتها وخارجه من بين هذه الحرف نجد: حرفة الطرز، النسبيج، الزرابي، الأفرشة و الأغطية. بل تعدت هذه الحرف اليدوية ومارست حرف خدماتيه كالتمريض والتوليد. ما يفند تماما ما أورده المؤرخون الأجانب عن المرأة الجزائرية عامة و الحضرية خاصة بأن مهماتها تربية الأولاد و تنظيف البيت ،ولا يسمح لها بالخروج من بيتها.

أ . حرفة التطريز:

اعتبرت أشغال التطريز ،وكل ماله علاقة بالإبرة النشاط الأساسي لنساء مدينة الجزائر خاصة . فالنسوة التي كانت تقوم بالتطريز إختصت في القطع الخاصة بالنوافذ، وتطريز ألبسة الرأس والمحارم اليدوية ، وتطريز القفطان وغيرها من الأشياء الأخرى خاصة الألبسة الخاصة بالنساء والرجال وحتى الأبسطة والفراش والوسائد الفاخرة الخاصة بالتأثيث التي كانت قريبة الشبه بتلك التي كانت تصنع في الأناضول وبلاد المشرق الاسلامي².

فالتطريز حرفة صعبة نوعا ما، فهي تكلف المرأة الحضرية وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً للقيام بالأعمال التطريزية، ولو حاولنا تخصيص هذا المجال على نساء الحضريات لوجدنا أن نساء الأندلسيات هم من إختص بالدرجة الأولى بهذه الحرفة ، لأنهن كن يتمتعن بحياة رغيدة أين كان الخدم هم من يقومون بأشغال المنزل ، أما هن فيقمن بالتفرغ للطرز³.

ب . حرفة الخياطة:

عرفت هذه الحرفة اهتماماً كبيراً من قبل الحضريات خاصة أن نساء الحضر تعلمن هذه الحرفة من قبل الجواري المسيحيات واليهوديات .

¹- ليلي خيراني : نساء مجتمع...، المرجع السابق، ص 08

²- شريفة طيان : "فن التطريز الحريري بمدينة الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات الأثرية، ع6، جامعة الجزائر، 2007، ص121.

³- ليلي خيراني : المرجع السابق، ص66.

لقت حرفة الخياطة اهتماماً كبيراً من طرفهن فأبدعن فيها . ما جعل جل المنتجات تتميز بالجودة والإتقان في صنعها يقول شالر "...المنتجات الجزائرية أجمل وأمتن...، وعلى العموم لا توجد بضاعة أوروبية تفوق المنتجات الجزائرية في هذا المجال ."

ومما زاد من جمال المصنوعات التي تنتجها المرأة الحضرية هو إستعمالها للألوان التي تأتيها من أوروبا كالأحمر والأصفر والرمادي لتزيين وصبغ مختلف الأقمشة¹.

إلا أن هذه المنتجات لا تصدر إلى الخارج وإنما توجه فقط للإستهلاك المحلي وتلبية حاجيات الفرد اليومية يذكر وليام شالر "...والمنتجات .. من حرير وهي الشالات والمناديل والأحزمة، ونوع من العمام، والقماش الذي يطرز بالذهب وغير ذلك من المنتجات التي تستهلك محليا ، "فحين فليهم شيمبرا يؤكد أن هذه المنتجات تلقي إقبال من طرف الأوروبيين لجودتها وإتقان صنعها " ... ويتم شراء هذه المصنوعات من الطرازين ومن بعض الحضريات..."²

ت . حرفة النسيج:

إشتهرت حرفة النسيج خلال القرنين 15-17 م في كل الأماكن تقريباً، إذ تميزت عن غيرها من المنسوجات برسومات وأشكال الأزهار والورود، والأشجار بفروعها من أفضل الوحدات التي تهواها المرأة وتفضلها نظراً لسهولة صنعها ولقدرتها على الإبداع فيها³.

من خلال هذه الحرفة يتم صناعة مختلف الزرابي التي يفتريها السكان، الحايك ، البرنوس، الشالات . تحتاج هذه الحرفة إلى مواد أساسية كالصوف و وبر الإبل فتقوم نساء الحضر بإستعمال هذه المواد خاصة الصوف لنسج مختلف المصنوعات الموجهة للإنتاج المحلي، فكانت هذه الحرفة لها مكانة مهمة في حياة الحضريات نظراً لأهميتها التي تكمن في توفير حاجيتهم المنزلية حيث يذكر فندلين شلوصر "...وكانت النساء ينسجن ويغزلن لساعات متأخرة من الليل."⁴

¹ - إيمان شريط، حمادو بن عمر: "النساء الحضر والنشاط الحرفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية على ضوء الكتابات الأجنبية"، مجلة

عصور جديدة، م10، ع2، جوان 2020، ص271.

² - وليام شالر : المصدر السابق، ص93.

³ - ليلي سعداوي : المرجع السابق ، ص68 .

⁴ - إيمان شريط ، حماد و بن عمر: المرجع السابق ، ص93 .

ث . صناعة الحرير:

وهي صناعة إشتهرت بها الأندلسيات في ورشات صناعة الأنسجة الحريرية وقد جلبن معهن هذه الخبرة من الأندلس.¹

ج . صناعة الحلي:

إختصت النساء الحضريات بصناعة نوع معين من الحلي ، إلا أن صناعتهم لم تكن مثل صناعة الرجال التي كانت تتم بتحويل الذهب والفضة إلى حلي ، إنما النساء كانت تعتمد على وسائل بسيطة متوفرة في كل المنازل كالخيوط ومادة المرجان المتوفر بكثرة في الجزائر، تقوم بإدخال حبات المرجان في خيوط مشكلة بذلك سلاسل وأساور تستعمل للترزين.²

ح . صناعة القياطين:

إعتبرت من أهم الصناعات التي تعلمتها المرأة وقامت بالتفنن فيها خاصة فيما يخص الضفائر و الشربات والأزرار التي كانت تستعمل في صناعتها، غالبا ما تكون من خيوط مكتلة مغطاة بالشمع تشكلها على أشكال بيضوية أو أشكال أسطوانية ، ثم يلوى عليها خيط ذهبي أو فضي . تستعمل هذه الشربات في البرانيس و أطراف الأحزمة³ .

خ . صناعة العطور:

عرفت هذه الصناعة إنتشار واسع في إيالة الجزائر نتجة وفرة أنواع الورود كالياسمين الذي يغرس في مختلف مساحات المدن في الساحات العامة والخاصة . حيث يقطف ويستخرج منه مختلف أنواع العطور التي تستعملها النساء في حياتهن اليومية، إضافة إلى صناعة ماء الورد بتقطير هذه الزهور.⁴

¹- ايمان شريط ، حمداو و بن عمر: المرجع السابق،ص 273 .

²- المرجع نفسه : ص 273 .

³- ليلي سعادوي: المرجع السابق، ص69.

⁴- ايمان شريط، حمداو بن عمر: المرجع السابق، ص273.

د . حرفة الطيابة:

وهي العمل في الحمامات، وهذه المهنة شاقة ومتعبة كونها حرفة تتم داخل الحمام إذ تقوم الممتهنات لهذه الحرفة بتقديم الماء إلى المغتسلات، تدليك أجسادهن، وتقديم المشروبات لهن، كما أيضاً يشرفن على تسير الحمام وتنظيفه عند خروج النساء منه. إلا أن هذه الحرفة غالبية النساء الحضريات كن يترفعن عن القيام بها بإستثناء اللواتي ينتمين إلى الطبقة الفقيرة¹.

المطلب الثالث: نماذج من العائلات الحضرية التي مارست الحرف

مارست عدة أسر حضرية مختلف الحرف و ساهمت في إقتصاد إيالة الجزائر في هذا المجال إلا أن هناك نقص في المراجع والمصادر التي تطرقت إلى النشاط الحرفي الذي كانت تمارسه هذه العائلات لكن الأستاذة عائشة غطاس تحدثت عن بعض العائلات منها :

أ- عائلة بوعين:

هي عائلة حضرية إمتهنت صناعة الحرارة طيلة فترة 1770-1826م يعود تعلق هذه العائلة بمهنة الحرارة كأول إشارة إلى الوالد محمد بوعينين عرف عام 1770 م حينما حضر شاهدا في إثبات ملكية عقارية لأحد الحرفيين رفقة عدد من الحرارين. بعد ربع قرن تولّى ابنه أمانة جماعة الحرارين في حدود عام 1793م ثم ابنه الثاني الحاج علي الحرار في سنة 1820-1826م وتشير الأستاذة غطاس إلى أن الجمع بين وراثية الحرفة و وراثية منصب الأمانة تعد من الحالات النادرة وهو أمر يفسر بطبيعة النشاط الممارس، فالحرارة من الأنشطة المربحة لذلك سعت بعض الأسر إلى إشتراك الحرفة والأمانة مثل عائلة بوعينين التي توارثت الأمانة و الحرفة لأزيد من 50 سنة².

¹- ايمان شريط، حمدادو بن عمر: المرجع السابق ، ص272.

²- عائشة غطاس : المرجع السابق، ص160.

ب - عائلة ابن حمدوش:

كانت أسرة ابن حمدوش من أسر الأشراف ، تمتهن حرفة الدباغة¹ بداية من الجد السيد الحاج محمد الدباغ ثم إنتقلت إلى ولديه وهما الحاج أحمد و الحاج محمد ، فإنتقلت الحرفة من الحاج محمد إلى ابنه عبد السلام، ثم من الحاج أحمد إنتقلت إلى ابنه الحاج قاسم. لقد توارثت عائلة ابن حمدوش الدباغة على مدى ثلاثة أجيال² ، وعلى غرار حرفة الدباغة ما رسوا حرف أخرى كالعطارة .

ت - عائلة كلاطوا:

هي من العائلات المنفذة التي إحتكرت ثلاثة مجالات³ من الحرف الحدادة ، العطارة والخياطة⁴ ، فمحمد كلا طوا كان حدادا وجه ابنه علي إلى حرفة الخياطة أما ابنه الثاني عبد الرحمان إلى العطارة⁵

ث - عائلة ابن المايح:

هي عائلة إحترفت العطارة عثر على أول إسم من هذه العائلة، هو الحاج إبراهيم بن المايح العطار الذي كان يملك حانوت لبيع العطور داخل سوق العطارين عام 1709 م ، وفي سنة 1787م، عثر على اسم ثاني من العائلة وهو عبد الرحمان العطار ابن السيد ابن المايح . مارست هذه العائلة هذه الحرفة لأزيد من مائة سنة .

ج - عائلة المسطول:

أحترفت عائلة المسطول صناعة السراجة حيث عثر على بعض أسماء هذه العائلة كالسليمان السراج، ابن الحاج محمد المسطول، و على محمد السراج ابن الحاج علال المسطول ، ومحمد السراج ابن الحاج المسطول .

¹ - عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري : رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب و الحال ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1983 ، ص 09 .

² ينظر إلى الملحق رقم 4

³ ينظر الملحق رقم 5

⁴ - فوزية لزغم : البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 1520-1830، شهادة دكتورة في التاريخ والحضارة الاسلامية كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية 2013-2014، ص128.

⁵ - عائشة غطاس : المرجع السابق، ص164.

ح- عائلة بن مهران :

وهذه العائلة اشتهرت بصناعة الصفارة وتصدرت أمانة جماعة الصفارين مرتين إذ تولاهما الطاهر ابن محمد بن مهران والحاج عبد الرحمان الصفار بن مهران¹ ومن بين العائلات الحضرية التي مارس أفرادها الصنائع والحرف نجد : ابن رامول ، ابن هاني، ابن النيقرو، برحال ،ابن لكبابطي، بوضرية ، ابن شاهد، ابن عمارة، وعائلة الزهار².

المبحث الثالث : في المجال التجاري .

يعتبر النشاط التجاري مكملًا " للنشاط الزراعي والصناعي، إلا أن هذا النشاط يجمع بين الاستقرار والتنقل في آن واحد. فالتجار ينتقلون بين الأسواق المحلية الموجودة على مستوى المدن وحتى على المستوى الخارجي بين البلدان لترويج بضائعهم. وطبيعة هذا النشاط هو الذي يفرض هذا التنقل إذ عرفت الجزائر مع بداية العهد العثماني حركة تجارية واسعة على المستوى الداخلي في المراكز التجارية كالأسواق التي كانت لها أهمية في مدن الإيالة باعتبارها نقطة تجمع مختلف طوائف المجتمع للمتاجرة ببضائعهم وممارسة حرفهم. أما على المستوى الخارجي فقد كان للجزائر دورًا هامًا في التجارة الخارجية إذ تربطها العديد من العلاقات التجارية مع دول الجوار، ومع الدول الأوروبية وذلك لما كانت تزرع به من مواد أولية متنوعة قابلة للتصدير، فضلاً عن كونها من أكبر المراكز الاستهلاكية في حوض البحر الأبيض المتوسط .

فالتجارة تعد شريان الحياة الإقتصادية، والجزائريون مارسوا نشاطات تجارية متعددة تحكمت فيها عدة عوامل من بينها الموقع الجغرافي وتنوع النشاط الاقتصادي، الحرفي والزراعي، فإنقسمت التجارة بالإيالة إلى نوعين هما:

1- التجارة الداخلية:

كانت تتم في المدن والأرياف والأسواق المحلية و الجهوية ، الموجودة في المدن الكبرى كمدينة الجزائر ، تلمسان، وقسطنية التي كانت تمتاز عن غيرها بأنها أسواق متنوعة ودائمة تتمتع بالحراسة والتنظيم، وتعمل على تلبية حاجيات السكان ، ومن هذه الأسواق :

¹- عائشة غطاس : المرجع السابق ، ص161-162.

²- ليلي تيته : المرجع السابق، ص135.

أ- أسواق مدينة الجزائر:

إعتبرت مدينة الجزائر مركزا تجاريا هاما وسوقاً رئيسية من خلال مرساها الذي يتم فيه إستيراد وتصدير أغلب البضائع والسلع لمختلف الأقاليم الجزائرية ، إذ كان يحمل فائض إنتاج المقاطعات الجزائرية إلى أسواقها التي كانت تتمركز في شارعين رئيسيين هما شارع باب عزون الذي يمتد إلى باب الوادي وشارع باب الجزيرة الذي يمتد إلى رصيف خير الدين. إذ يربط شارع باب عزون¹ بالمناطق الداخلية فعن تدخل المواد الأولية للأسواق الموجهة، وعبر باب الجزيرة تدخل البضائع المستوردة.

وقد إشتهرت من هذه الأسواق سوق الرحبة أو ما يعرف سوق البادستان وهو السوق الذي كان يباع فيه العبيد والأسرى المسيحيون ، بناتهم ونسأؤهم. إلا أن محلاته الست والثلاثين بالطابق الأرضي حولت من محلات بيع العبيد و إلى محلات للخياطة² و بيع مختلف السلع والبضائع في مقدمتها المواد الإستهلاكية التي يقبل عليها السكان مثل اللحوم ، الحليب، السمن ، العسل، والحبوب³، وكذلك نجد السوق الذي يمتد من باب عزون حتى باب الجديد كان يسمى بسوق الملاحين في القرن 16 م وفي القرن 17 م سمي سوق القبائل، وفي منتصف القرن 17 م سمي بالسوق الكبير، يحاذيه كل من سوق الملح الذي هو جزء منه .

في حين نجد هناك أسواق مرتبطة بالحرف والصناعات نظرا لأهميتها وهي أسواق متخصصة في حرفة معينة كون تلك الحرفة كانت تمارس داخله مثل:

السوق	موقعه في المدينة
سوق الحرارين	يقع في نفس شارع البحرية يقابله المسجد الجامع كان له عدة جوانب، وعدة طوابق كلها معدة لصناعة نسيج الحرير

¹- ناصر الدين سعيدوني : "مخطوط " قانون اسواق مدينة الجزائر لعبد الله محمد بن الحاج الشويخات"، حوليات الجامعة الجزائرية، م5، 1ع، 1990 م، ص124.

²- بلبروات بن عتو: "الهياكل القاعدية مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، م3، جوان 2017، ص197.

³- زهية بن كردة : أسواق مدينة الجزائر من الفتح الاسلامي الى العهد العثماني من خلال المصادر دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في علم الآثار، قسم الآثار، كلية العلوم الانسانية، 1999-2000م، جامعة الجزائر، ص ص122، 120.

سوق الخام	موقعه في شارع البحرية بالقرب من سوق الحرارين ربما لحاجة هذا السوق لمواد خامة تستعمل في صناعته .
أسواق الرصاصية الفراغين والنحاسين	تقع هذه الأسواق داخل المثلث الذي تشكله المساجد الثلاثة الجامع الكبير، الجامع الجديد، مسجد السيدة، هذه الحرفة مكسبة جدا .
سوق المقايسة	وهو سوق مقابل لمسجد المقايسية و مسجد القيسارية .
سوق الغزل	كان يقع تحت بيت المال مطلا على زنقة القيسارية لما للهيئتين من ترابط وخدمات مشتركة .
سوق الدوابة	كان يقوم عند سوق البشماقجية الذي يسمى بالإسكافية، كان له درب على الشماعين، يقابله مسجد السيدة .
سوق الشمع	يمتد من شارع باب الوادي إلى البشماقجية محاذيا لمسجد السيدة، كان يقع بالقرب من دار السلطان لأن تجارته كانت محتكرا من طرف الدولة .
سوق البلاعجية	تصنع فيه أحذية القضاة والمدرسين في المساجد وتصنع فيه البابوشات للشخصيات المتميزة، يقع في شارع باب الواد، يقابل الجنيانة وغير بعيد عن القيسارية ومدرستها، وينحصر بين مسجد الشماعين وجامع الشواشي ¹ .

إضافة إلى هذه الأسواق نجد السويقات التي تختص بمواد مختلفة إنتشرت بالأحياء السكانية لتلبية حاجيك السكان الذين يجهدون أنفسهم للتنقل إلى الأحياء التجارية بالمنطقة الواطئة، هذه السويقات على شكل حوانيت قليلة العدد، و من بينها :

- سويقة باب الواد
- سويقة عمور
- حوانيت الجقماقجية (بيع الأسلحة)
- حوانيت باب أحمد القسنطيني
- حوانيت سيد عبد الله
- حوانيت بن رابحة

¹ - ينظر إلى الملحق رقم 6 .

- حوانيت الغربية
- محلات لصناعي الحرير
- سوق الحاشية

يغلب على هذه الأسواق¹ طابع البساطة من حيث البنايات التي تتكون من طابق أرضي، وغرف صغيرة.²

2- أسواق مدينة قسنطينة:

تضم مدينة قسنطينة العديد من الأسواق التي تنقسم إلى نوعين : أسواق عامة يبلغ عددها خمس عشر سوقا يعرض فيها مختلف السلع ولا تمارس فيها أي حرف أو صناعة³، أما الأسواق المتخصصة يبلغ عددها 29 سوقا تميزت بمزاولتها و إرتباط إسمها بالحرف وصنائع معينة . تتوزع على أماكن مختلفة من المدينة .

الأسواق العامة:

من الأسواق العامة في المدينة نجد سوق التجار (الرهادية) يقع في قلب المدينة وهو من الأسواق المفتوحة، يتشكل من عدد كبير من الحوانيت المفتوحة على الشارع الرئيسي ، يربط بين باب الواد وباب القنطرة، تتفرع منه عدة شوارع ثانوية ، وهذا السوق يضم بداخله مجموعة من الأسواق المتخصصة مثل السراجين من الناحية الشمالية من مسجد سيدي عبد الرحمان القروي، يليه سوق الصباغين وبينهما سوق الغرابلين ، النجارين ، الخضارين وسوق البرادعين . بالإضافة إلى أسواق غير متخصصة موجودة في محيط هذا السوق كسوق الخلق الذي كان ضمن نطاقه ، يتوسط سوق الغزل على نفس الشارع الذي يوجد به السوق الكبير المؤدي إلى رحبة السوق.

أما سوق الغزل يفتح على الشارع الرئيسي الرابط بين باب الواد وسوق العصر والجمعة . يقع بين حي الطابية وحي ميلة الصغيرة، والحي التجاري الذي يربط به طريقان ثانويان يوجد داخل أحدهما سوق الصاغة . بينما سوق الموقف يقع بالقرب من باب الواد عند مفترق الشارعين الرئيسيين

¹ - ينظر إلى الملحق رقم 7 .

² - بلبرا وات بن عتو: المرجع السابق، ص212.

³ ت ينظر إلى الملحق رقم 8 .

الذان ينطلقان من هذا الباب باتجاه باب القنطرة وسوق العصر، تتفتح به عدة أزقة التي تربطه برحبة الجمل وبحي الطيابة¹.

في حين سوق الكبير قد ذكرنا سابقا أنه ضمن نطاق سوق التجار، نجده بجوار الجامع الأخضر في موضع يتوسط بين سوق التجار جنوباً و رحبة الصوف شرقاً، وحي ميلة شمالاً " وسوق الخلق غرباً.² أما سوق باب الواد الذي عرف بسوق البلد كونه يقع في موضع الرحبة التي تسمى برحبة البلد، كانت تقع بالقرب من باب الوادي وأمامها نجد باب الجديد أي أن هذه الرحبة كانت تتوسط الشارع الذي يربط باب الواد وباب الجديد³.

كما نجد أيضاً إنتشار العديد من الأسواق المتخصصة في مدينة قسنطينة، فكل سوق من تلك الأسواق تختص في صنعة معينة، وأغلب هذه الصناعات كانت عبارة عن نشاطات يقوم بها سكان الحضر، والتي سبق وأن تطرقنا إليها ، فمن خلالها كان ينشط الحضر في هذه الأسواق التي في غالبيتها تتوزع على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الوادي وباب القنطرة⁴. ومن بين هذه الأسواق نجد:

الأسواق المتخصصة	توزيعها في المدينة
سوق العطارين	يتموقع هذا السوق في بداية الشارع الرئيسي ويستمر إلى غاية مسجد سيدي عمر الوزان .
سوق السراجين	يأتي بعد سوق العطار على نفس الشارع، يبدأ من مفترق الطرق حيث يوجد مسجد سيدي الفوال ومسجد سيدي عبد الرحمان القروي، وينتهي عند سباط باشا أغا .
سوق الحدادين	الذي يقع بالقرب من سوق الدباغة محصور بين زنقة سيدي صرار وحمام جلول .
سوق	يبدأ من حيث ينتهي سوق الحدادين، إلا أنه يساير طريقاً فرعياً بشكل متعامد على الشارع

¹ - خولة نواري: "الحرف والصناعات في أسواق قسنطينة من خلال مخطوط دفتر أحبهما القرن (10-11 هـ، 16-17م) "، مجلة روافد، م3، ع3، جوان 2019، ص49.

² - عبد القادر دوح: "أسواق مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية"، دراسات في آثار الوطن العربي، ع10، ص 236.

³ - خولة نواري: المرجع السابق، ص50.

⁴ ينظر إلى الملحق رقم 9.

القزازين	الرئيسي في إتجاه الغرب، لينفتح في طرفه الغربي على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الواد وسوق العصر حيث يوجد رقاق البلاط .
سوق الدباغين	كانت هناك دار دباغة الجلود تقع في الطرف الجنوبي الشرقي، وهو نفس المكان الذي لازالت قائمة فيه اليوم، إلا أن كثرة إنتشار المدايح بهذه الناحية شكلت سوق مختص في هذه الحرفة ¹

اضافة لى هذه الأسواق نجد أيضا سويقة باب القنطرة التي سميت نسبة إلى باب القنطرة الواقع في الجهة الشمالية للمدينة تبعد عنها الرحبة بألف خطوة يبلغ قطرها ستون خطوة، توجد على يمينها صخرة كبيرة أقيم عليها حصن في سنة 1836م ، ومن هذه الرحبة يمكن المرور إلى أزقة المدينة². أما سويقة باب الجابية تحتل موقعا إستراتيجيا فهي تسير شطرا مهما من الشارع الرئيسي للمدينة الذي يربط بين باب الجابية وباب القنطرة تتفتح منها عدة طرق وشوارع ثانوية من أهمها زنقة بن كزلي ، وزنقة الدرداف ، زنقة سيدي عفان، و زنقة العمامرة.

في حين سويقة بن مقالف تقع بحي الطابية وهي تربط بين مختلف أجزائها وحوماتها ، حيث تقع بشمال الطابية الكبيرة ، وفي غربها الطابية البرانية ، وفي جنوبها حومة مصاصة، ، وفي شرقها حومة سوارى، كما أنها تقع على الشارع الرئيسي للمدينة الذي يربط باب الجديد والقصبة³.

3. مدينة تلمسان :

نشطت الحركة التجارية في مدينة تلمسان خلال الفترة العثمانية إذ كان يتردد على أسواقها كل القبائل المجاورة و ذلك لوفرة المنتجات المصنعة. فعرفت بسوقها اليومي الذي كان أهم أسواق بايلك الغرب نتجة وقوعه على المحاور الكبرى للطرق .إستقادت من موقعها على ملتقى الطرق التجارية التي تأتي من فأس بإتجاه وهران . ومن الصحراء تنتهي عند إحدى موانئ هنين ،الغزوات ،المرسى الكبير ،ميناء وهران . كان يتحكم في هذا السوق تجار الجملة من الحضر ، الكراغلة ، و الأتراك.إضافة لسوق اليومي هناك أسواق أخرى تتمثل في :

¹- عبد القادر دحوح : المرجع السابق، ص226 .

²- المرجع نفسه، ص ص 233، 234.

³- فنديلين شلوصر : قسنطينة أيام احمد باي (1832-1837)، ترجمة أبو العيد ، منشورات وزارة الثقافة، 2007م، ص74.

. سوق الجلد يقع هذا السوق قرب ابن البناء كان به ثلاث طوائف من الصنائع الدباغين ،الخرازين،والسراجين. . سوق الغزل وهو سوق خصص لبيع مادة الصوف. سوق الدواب كان يمول من طرف مربي الحيوانات .	الأسواق المتخصصة
نجد مدينة تلمسان تتوفر بها أسواق حدودية مثل سوق عجرود ومغنية ،سبدو.فقد نافست تلمسان بهذه الأسواق مدينتي الجزائر و قسنطينة باستقطابها لتجار المغرب الأقصى ¹.	الأسواق الحدودية

التجارة الخارجية:

إمتدت تجارة الجزائر في الفترة العثمانية إلى الدول المجاورة ودول ما وراء البحار كون التجارة الخارجية من بين مصادر الثروة ،وموقع الجزائري الإستراتيجي أعطى أهمية قصوى للجزائر التي إعتبرت نقطة عبور بين الشرق والغرب ، الشمال والجنوب هو ما جعلها تشكل علاقات تجارية متينة مع مختلف الدول الأوروبية وحتى مع دول الجوار فكانت تتم مبادلاتها برًا وبحرا ،فمن أهم الدول التي تعاملت معها الجزائر في الميدان التجاري نجد:

أ- تونس:

كان الموقع الجغرافي الطبيعي دورًا كبيرا في تأسيس علاقات تجارية بين الإيالتين فكانت القوافل التجارية تسير باستمرار وبشكل يومي نظراً لقرب البلدين جغرافيا .

بالنسبة للمعاملات التجارية كانت تتم عبر المقايضة في المراكز التجارية لمختلف السلع وقد إستحوذت مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق على حصة الأسد في تلك المبادلات ، وهذا راجع

1- رفيق شلابي ،ودان بوغفالة: المرجع السابق ، ص 834 .

لصلات التاريخية في عهد الحفصيين وإلى الحدود المفتوحة بين البلدين .إشتملت الصادرات على المواشي والأبقار، الأغنام ، و الإبل، وأيضًا المنتجات المحلية كالبرانيس والجيب الصوفية " القشابية " التي لها سوقاً رائج في تونس، وكذلك بعض البضائع الأجنبية والأقمشة الحريرية والشواشي الجزائرية التي كانت تصنع في قسنطينة.

تتوجه هذه البضائع في قافلة كبيرة لتونس بانتظام .أما الواردات فكانت تشمل التوابل، القهوة، المصنوعات الأوروبية ، العطور ، العقاقير، الأدوية ، الأسلحة ، الأقمشة الخيوط الذهبية مستلزمات الأعراس.¹

ب - مع المغرب الأقصى:

لم تكن المبادلات نشيطة من الجهة الغربية مثلما كانت في الجهة الشرقية من الجزائر . تتم هذه المبادلات عبر تلمسان ، وهران ، ومع ذلك فإن التجار المغاربة إستحوذوا على المرتبة الأولى من مجموع الصفقات التجارية التي كان يجريها العنصر المغربي مع التجار الجزائريين . اشتملت صادرات الجزائر مع المغرب على الأقمشة الصوفية ، القطنية ، الحريرية، والمصنوعات المحلية ، كما كانت تصدر لها الأسلحة والأقمشة الهندية والقسنطينية ، الحرير التونسي. بالمقابل تستورد منها الصابون ، السكر، الجلود المدبوغة ، النعال ، إضافة إلى بيع الأسرى.²

ج - مع السودان الغربي:

عرفت الجزائر علاقة تجارية وطيدة ببلاد السودان الغربي ، والتي تشمل الإقليم الممتد من غرب إفريقيا من ساحل العاج إلى الحدود النيجرية يشمل مالي، النيجر والسنغال . إشتملت السلع المصدرة على كميات كبيرة من الحبوب : القمح ، الشعير، فول ، حمص التي كانت تشحن من الشرق الجزائري³، وكذلك الأقمشة الصوفية والحريرية ، البارود ، البنادق، السيوف، المرجان أما الوارادت فقد كانوا يجلبون التبغ ، العبيد ، ريش النعام، الملح.⁴

¹- نصيرة نواصر : "لمحات عن الوضع التجاري في إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني" ، مجلة البحوث التاريخية ، م6، ع 2، 2022 م، ص50.

²- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، د.ط، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر 1972 م ، ص ص 175، 176.

³- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي : المرجع السابق ، ص56

⁴-وليام شالر: المصدر السابق ، ص101 .

د- مع الدول الأوروبية :

فمع فرنسا تعززت التعاملات التجارية بين إيالة الجزائر وفرنسا خاصة بعد معاهدة 1534م، عندما عقدت إتفاقية بين الباب العالي وفرنسا سنة 1535 م التي منحت هذه الأخيرة إمتيازات قنصلية فتولى الفرنسيون صيد المرجان إلا أنهم تطاولوا وأخذت تستحوذ على تجارة الحبوب، الشموع بعدما كان الجزائريون هم من يقومون بتمويلها بهذه المنتجات.

تمثلت الصادرات في الجلود الحبوب، شعير، قمح .أي كل المنتجات التي كان يتاجر بها الحضر .إذ كان يسمح لها بألف حمولة من الحبوب سنويا، إضافة إلى الشموع ، الصوف ، الخيل، التبغ ، ريش النعام، الملح ، المناديل ، العبيد من الأسرى¹ .

بالمقابل كانت تستورد من مرسيليا الحديد، الرصاص ،الأقمشة، الحلي، الخردوات ،الغذاء كالسكر، القهوة ، التوابل،و المواد التي تدخل في صناعة السفن كالحبال الأخشاب ،المعادن ، الفولاذ² .

ج -مع إيطاليا:

كانت التجارة ضعيفة نسبيا بسبب الجهاد البحري ، وكانت الصادرات تتمثل في الحبوب القمح الصلب ، المرجان ، ريش النعام. أما الواردات فنجد أن الجزائر كانت تفضل الأقمشة الحريرية القادمة من إيطاليا كالشراشيف، إضافة إلى المواد الغذائية كالبن، السكر، والتوابل³.

وللتوضيح فإن مع بداية العهد العثماني كانت فيه التجارة الخارجية بإيالة الجزائر تنقسم إلى نوعين: نوع يقوم به الأجانب عن طريق البحر بواسطة الموانئ كمناء عنابة ، القالة ، تشرف على هذه التجارة مؤسسات تجارية كالشركة المالكية الإفريقية، وفي ما بعد شركة بكري وبوشناق.

¹- وليام سبنسر:الجزائر في عهد رياس البحر ، تح عبد القادر زبادية ، دار القصة للنشر ،الجزائر ، 2006 م، ص144.

²- محمد زروال: العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، (دط) ، الجزائر ، 2009م، ص73.

³- محمد العربي الزبيدي: المرجع السابق، ص64.

و أما النوع الثاني فقد كان بيد الأهالي بما فيهم الحضر الذين إشتهروا بالتجارة، أين حاولوا تكوين أسطولاً تجارياً ليتولوا تسويق منتجاتهم بأنفسهم، لكن الضغوطات والعراقيل التي واجهوها في مدينة مرسيليا لم تمكن الأسطول التجاري الجزائري من الصمود، وكذلك عجزوا أمام اليهود الليفورنيين الذين كانوا ماهرين في تسويق البضائع، وفي مخادعة الجمارك الأكثر يقظة، في حين أن التجار المسلمين كانوا مشهورين بصدقهم وأمانتهم، ضُف إلى هذا الضغوطات من طرف السلطة التي سمحت لليهود الضغط على التجار المسلمين بحكم مكانتهم عند الداي لمنعهم من إنشاء محلات تجارية في موانئها.

هذا ما جعل الجزائريين يتركون هذا النوع من التجارة الخارجية بين أيدي الأجانب الذين لا تهمهم سوى كثرة الأرباح، و أدى هذا إلى إنخفاض أسعار المواد المصدرة وإرتفاع أسعار المواد المستوردة، ما ترتب عنه إنخفاض المستوى المعيشي بالجزائر بصفة عامة، وفي مقاطعة قسنطينة بصفة خاصة¹

خلاصة الفصل :

من خلال ما سبق يمكن الإستنتاج أن الفترة الأولى من الحكم العثماني في الجزائر تميزت بشيوع و تطور الزراعة التي كانت المورد الرئيسي لمعيشة غالبية السكان، خاصة في فحوص مدينة الجزائر الملائمة لظروفها الطبيعية الملائمة لمختلف المحاصيل الزراعية. فقد مكنت أرباح الجهاد البحري الكثير من الحضر من إكتساب الضياع خارج المدن، و الإنتقال إليها بعد أن إكتظت المدينة بجماعة الأسرى، والعبيد. فأصبحت أغلب الأراضي بالفحوص بحوزة جماعة بورجوازية محلية من الحضر

¹ - محمد العربي الزبيري :المرجع السابق ، ص84.

فإشتهروا في هذا المجال و عملوا على تطويره بزراعة مختلف البساتين ،وإدخال محاصيل زراعية جديدة كالقطن ،الكتان ،أشجار البرتقال و الليمون الخضر كالبتتجال وغيرها من المنتوجات التي تطرقنا إليها سابقا ، إذ إعتد في هذا القطاع على وسائل و تقنيات عديدة خاصة تلك التي أدخلوها الحضر من أصل أندلسي الذين نقلوا معارفهم الزراعية إلى مختلف مدن الإيالة مما أدى بتطوير الري و تخصيص الأرض في فحوص مدينة القليعة ،شرشال ،والبليدة .التي تشبه حدا ما نواحي غرناطة ورغم كل هذه الإستحدثات إلا أن الزراعة في الفترة العثمانية تميزت بالبساطة و البدائية وهذا الوضع أثر سلبا على مردودية الأرض وكميات الإنتاج خاصة أواخر العهد العثماني.

أما من الناحية الصناعية فقد رأينا بأن الحضر قد كان لهم إسهام تقريبا في كل الصناعات و الحرف الرائجة في مدن الإيالة من دباغة الجلود و النسيج ،صناعة السفن إذ عملت على تحقيق الاكتفاء الذاتي بتلبية حاجيات المجتمع الضرورية من ملابس، آواني وأسلحة. حتى أن النساء الحضريرات كان لهن الدور الفعال في المجال الحرفي و الصناعي بممارستهم مختلف النشاطات داخل و خارج البيت فمارسوا الخياطة، الطرز، صناعة الحلي..... فالنشاط الصناعي في الجزائر في هذه الفترة كان موجها أساسا لسد حاجيات السكان و في بعض الأحيان للتصدير إلى الخارج قصد الحصول على بعض المصنوعات الضرورية لتدعيم قدرة الجزائر. كما إرتباطت بالأسر الحضرية وخاصة منهم الأندلسية التي إحتكرت أغلب الصنائع والحرف التقليدية ، وبهذا شكلوا أغلبية الحرفين وتمسكوا بزمam الجمعيات الصناعية .

أما فيما يتعلق بالتجارة فقد عرفت مدن الإيالة كمدينة الجزائر ، قسنطينة ،وتلمسان نوعان من التجارة تجارية داخلية تتم داخل الأسواق العامة التي تعرف بتنوع المنتجات التي تباع فيها ،و أسواق متخصصة التي تتميز بحرف أو صناعة خاصة .أما الخارجية فكانت تتم من مدن الإيالة و الأقطار

المجاورة كالمغرب الأقصى ، تونس ومع الدول الأوروبية كإسبانيا و بريطانيا إلا أن هذه التجارة كانت في البداية تسير من طرف الحضرة لكن مع أواخر العهد احتكرت من طرف سلطة البايلك و الدخلاء من الأجانب و اليهود.

الفصل الثالث: اسهامات الحضر في المجال الثقافي

المبحث الاول: المراكز العلمية ومناهج التعليم

المبحث الثاني: الحضر وحركة التأليف

المبحث الثالث: الفنون عند سكان الحضر:

المبحث الأول: المراكز العلمية ومناهج التعليم

يعتبر التعليم من ركائز ازدهار الأمم، وتعد المراكز العلمية مصدر الإشعاع الثقافي لها، هذه المراكز التي توزعت عبر العديد من المدن وحتى الكثير من الأرياف الجزائرية، حيث قصدها طلبة العلم لينهلوا من معارفها، فتحوّلت إلى منارات للعلم والعلماء، ومقصدا للمتعطشين للاستزادة من مناهل العلم والمعرفة.

المطلب الأول: المراكز العلمية الجزائرية في العهد العثماني

1. المساجد:

يعد المسجد مؤسسة دينية بالدرجة الأولى لكنه اضطلع بالوظائف الثقافية والتعليمية أيضا¹. فلقد كانت وظيفتها الأساسية هي أداء الصلاة وتحفيظ القرآن، كما أنيطت بها خلال العهد العثماني مهام اجتماعية كحل مشكلات الناس، بالإضافة إلى التحريض على الجهاد في سبيل الله، والملاحظ على حواضر الجزائر خلال العهد العثماني كثرة مساجدها التعليمية، حيث انفردت كل مدينة بجامعها الأعظم الذي يمثل معهدا للتعليم، كالجامع العظيم في قسنطينة، وجامع بجاية، وجامع تلمسان، والجامع الأعظم بمدينة الجزائر الذي كان خلال العهد العثماني مركزا للنشاط الديني والقضائي².

وقد تواجدت المساجد في الجزائر العثمانية على مستوى كل حي تقريبا، فلا يكاد يخلو حي من مسجد، "فهايدو" يرى أن مدينة الجزائر كان بها حوالي مائة(100) مسجد، أما "باناتي" الإيطالي فذكر أن عددها كان حوالي خمسين مسجدا، وتسعة جوامع³. وفي عام 1830، كان بالجزائر العاصمة وحدها 13 مسجدا كبيرا، و109 مسجدا صغيرا، و32 مصلى، كما أكد "دوفو" على أن صلاة الجمعة كانت تقام في المساجد الكبيرة⁴. أما في

¹ - زهية دباب، وردة برويس: "السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية"، مجلة العلوم الإنسانية، م21، ع1، 2021م، ص 178.

² - رشيدة شكري معمر: "المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830"، مجلة معارف، ع 20، جوان 2016م، ص ص 93-94.

³ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ص ص 246، 247.

⁴ - ALBERT DEVOULX: Les édifices religieux de l'ancien Alger, BASTIDE, Alger, 1870, p03.

قسنطينة فقد قَدَّر فيرو عددها ب 75 مسجدا وجامعا، وبلغ عدد مساجد عنابة 37 مسجدا كما ساهم الحكام في وقف بعض أملاكهم على المساجد خاصة في فترة وفرة الغنائم البحرية. وجدير بالذكر أن بعض المساجد لم يكن لها أوقاف للصيانة، لهذا تدهورت حالتها وهو ما عبر عنه الورثلاني والبوني في رحلتيهما حسب "أبو القاسم سعد الله"، فنقل عن الأول وصفه لخراب المساجد وإهمالها في ق 18، والثاني الذي اشتكى من خراب مساجد عنابة لمحمد بكداش¹.

2. الزوايا:

تعتبر الزوايا من أهم المظاهر الدينية والثقافية للعهد العثماني بالجزائر، فكانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة إلا ولها زاوية، وهي مؤسسة دينية، يتم فيها تحفيظ القرآن، إضافة إلى الفقه والعقائد، وقواعد النحو والصرف، والبلاغة والحديث، حيث احتلت الصدارة بين المراكز الثقافية والتعليمية، كما عرف عن شيوخ الزوايا ومريديهم أنهم كانوا أسرع من غيرهم مبادرة في الجهاد ضد العدو الإسباني والفرنسي². كما كان للزوايا أيضا دور في توفير الملجأ للفقراء والصدقة عليهم وإطعامهم، بالإضافة إلى النشاطات المتعلقة بالجانب التعليمي والاحتفال بالمواسم الدينية وغيرها³.

فمدينة الجزائر كانت تعج بالزوايا، نذكر على سبيل المثل لا الحصر زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وزاوية الوالي دادة، وزاوية عبد القادر الجيلاني وغيرها، أما بقسنطينة فقد وجد بها 16 زاوية منها ما كان تابعا للعائلات الكبرى بالمدينة، مثل زاوية أولاد الفكون وزاوية بن نعمون، أما تلمسان فقد ضمت وحدها أكثر من 30 زاوية، منها زاوية سيدي بومدين⁴.

كما ساهمت مؤسسة الوقف بدور كبير في تأمين الموارد المالية للزوايا، فهو يكاد يشكل المصدر المالي الوحيد لها والذي ساعدها في دفع الأجور، إطعام الفقراء، والصدقة، وتوفير

¹ - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص 246-251.

² - زهرة دباب: وردة برويس: المرجع السابق، ص ص 180-181.

³ - ياسين بودريعة: "الزوايا والسلطة خلال العهد العثماني مدينة الجزائر نموذجا"، مجلة معارف، ع 23، ديسمبر 2017م، ص 76.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ص ص 263-267.

المبني، وكذا صيانتها، وترميمها، وقد أسهم العثمانيون في تأسيس العديد من الأوقاف على هذه الزوايا مثل وقفية الداوي أحمد (1805-1808) لصالح زاوية عبد الرحمان الثعالبي، وتمثلت في مخزين وحانوتين 1807¹.

ولعل أهم ما ميز الزوايا في الجزائر العثمانية هي أنها كانت ملجأً للهاربين من العقاب والمهتدين بالقتل، فقد كان الناس يعتقدون في حصانة من احتفى بهذه الزوايا، حيث لا يقربه أحد ولا يمسه سلطان، وقد كان يفر إلى هذه الزوايا السكان وحتى الحكام².

3. الكتاتيب:

الكتاتيب جمع ومفردا كُتَّاب، كما أطلق عليه اسم المسيد أيضا، وهو بدون شك تصغير كلمة مسجد، وهو مخصص لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال، وهو في الغالب عبارة عن حجرة أو دكان في الأصل أو جناح في مسجد، بل إن بعض الواقفين يكتفي بفتح غرفة في منزله على الشارع ويجعلها كتبا للأطفال، وكانت الكتاتيب منتشرة في كل الأحياء، وكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع به، مثل مسيد القيصرية، كما كان أحيانا يحمل اسم الواقف أو المؤدب المشهور، كما كانت الكتاتيب تابعة لبعض الزوايا، وكانت الكتاتيب معتمدة قليلة التهوية، وغالبا ما كان الأطفال يحشرون فيها حشرا، وهي بذلك تشبه المرحلة الابتدائية، وتنتهي لما يبلغ الطفل سن الرابع عشرة³.

4. المدارس:

تقوم المدارس بتعليم الدين وعلوم اللغة ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، ففي مدينة الجزائر كانت هناك 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذا، منها المدرسة القشاشية، أما في قسنطينة فقد عرفت إشعاعا ثقافيا خاصة في عهد صالح باي الذي أسس المدرسة الكتانية، 1776 في مختلف العلوم، كما أسس عدة مدارس في عنابة وجيجل، وكان يلحق بكل مدرسة مسجدا، وكتابا، ومكتبة، وكان تعداد المدارس في قسنطينة غداة الاحتلال 90 مدرسة، يدرس بها 1350 تلميذا، أما مدرسة مازونة فكانت ذات شهرة مغربية، كما كانت

¹ - ياسين بودريعة: المرجع السابق، ص 82.

² - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 271.

³ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... ص ص 276-279.

ملتقى للعلماء ودرس بها علماء بارزون مثل أبو راس الناصري ، وبالرغم من كثرة المدارس إلا أن الجزائر إفتقرت إلى مؤسسات للتعليم العالي بحيث لم يكن بالبلاد جامعة تضاهي جامعة الأزهر أو الزيتونة.¹

5. الرباطات:

تشبه الزوايا، تمتاز بأنها قريبة من مواقع العدو، وكان الهدف الأول لتأسيسها بالدرجة الأولى الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام، وكانت الرباطات في العهد الأول منتشرة على السواحل التي نزل بها الأعداء، فكان الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت، وكان المجاهدون يجتمعون بها وينطلقون منها ويسكنونها، بهدف إبعاد الأعداء، وقد انحصرت معظم الرباطات في الغرب الجزائري، حيث كان الخطر الإسباني يهدد وهران والمرسى الكبير، وقد كان للرباطات دور في تحرير وهران الأول والثاني، ومن أبرز علماء الرباطات مصطفى الرماصي، محمد بوجلal، والطاهرين حوا، وغيرهم، فالرباطات كانت إذا قلعا من جهة وزوايا ومدارس متنقلة من جهة أخرى.²

6. المكتبات:

كانت المكتبات منتشرة في الجزائر وكانت معظمها تضم كتباً دينية، وكانت على شكل مخطوطات، حيث كانت الكتب تنتج محليا أو تنسخ كما تجلب من الخارج، والكثير من العائلات تمتلك مكتبات خاصة بها تضاهي أحيانا المكتبات العامة، وقد كان محتوى المكتبات لا يخرج عن الأحاديث الدينية والفقه والأصول والتوحيد وكذا العلوم اللغوية، والأدب والنحو وغيرها، أما التاريخ والجغرافيا والطب والفلك فكانت قليلة، وكان العلماء يحتفظون بالكتب في صناديق وخزانات خاصة.³

¹ - رشيدة شكري معمر: المرجع السابق، ص ص 99-100.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي.. المرجع السابق، ص ص 272-273.

³ - زهية دباب، وردة برويس: المرجع السابق، ص ص 179-180.

كانت بعض الكتب تجلب من مصر والحجاز والأندلس، وقسنطينة كانت تعج بالكتب في مكتبات الزاويا والبيوت وقد حوت كتب الأندلسيين والمشاركة، إضافة للكتب المحلية، خاصة في عهد صالح باي الذي شجع العلماء وجلب الكتب وحبس الأوقاف على الطلبة، وبعض الكتب وصلت الجزائر عن طريق العثمانيين خاصة القضاة والمفتين، ومن أشهر المكتبات مكتبة الجامع الكبير بمدينة الجزائر ومكتبة المدرسة الكتانية في قسنطينة، ومن أضخم المكتبات التي نالت شهرة مكتبة حمودة الفكون التي كان يوجد بها 2500 مجلد¹.

7. المعمرات:

هي عبارة عن معاهد دينية لتعليم القرآن الكريم والعلوم عموما، وكثيرا ما آزرت الرباط في الحرب، ولقد كانت لها أحباس وقوانين داخلية محكمة وهو الفرق بينها وبين الزاوية التي تخضع لشيخ الطريقة أو مقدمها، وفي حالة حدوث أي خلاف داخلي يتولى قدماء المتخرجين منها الإصلاح وإرجاع الأمور إلى نصابها، فكانت المعمرة تسيّر ذاتيا وطلبتها ينقسمون إلى عدة طبقات هي:

أ. القداش: هم التلاميذ الصغار.

ب. الطلبة: وهم فوق القداش سنا وعلما.

ج. وتأتي بعد ذلك طبقة المقدمين والوكلاء والشيخ الكبار، وهي أعلى طبقة مهمتها تسيير المؤسسة التي يرأسها شيخ مسن يساعده عدد من كبار الطلبة والمقدمين والوكلاء، بالإضافة إلى مهمة التعليم، كانت تأوي المساكين وتقدم لهم المساعدات².

ويذكر ابن ميمون في تحفته أن المراكز التعليمية الجزائرية خلال فترة الدراسة كانت تشمل أيضا الدكاكين التجارية التي كانت تستخدم في مساء كل يوم كأماكن لقضاء جلسات السمر الأدبية. أما الأندية المنزلية، فهي التي كانت تقام في منازل وجهاء البلاد، وأعيان ذوي النفوذ، والسلطة المحلية، فكان الداوي والباي والآغا والقاضي والمفتي يجتمعون لدى كل منهم ببعض من الرعاية بعد تناول العشاء في منازلهم، ثم يشرعون في قراءة كتاب ما قد اتفقوا على قراءته، هذا في غير شهر رمضان المعظم. أما في رمضان، فانهم مواظبون على

¹ - رشيدة شكري معمر: المرجع السابق، ص ص 103-104.

² - المرجع نفسه، ص 102.

صلاة التراويح هناك، وبعد الفراغ منها يشرعون في دروس دينية حسبما جرت بها العوائد الإقليمية في مجالس شهر رمضان الفضيل، وكانت منازل العلماء أندية ومراتع دروس يومية، يتلقاها الطلبة عن هؤلاء العلماء في منازلهم، وبعد انتهاء الدروس يرجع كل طالب إلى منزله ليعود في الغد، وهكذا.

وتكون هذه العادة غالباً في المدن التي لم تكن فيها زوايا تقام فيها دروس علمية، كما إن منازل العلماء كانت تستخدم كمحكمة للمتحاكمين وملجأ للمتخاصمين وقبلية للمتصالحين ومسجدا للمستفتين ومزاراً للمتبركين، كما كانت مدرسة للمتعلمين¹.

والملاحظ أن للأوقاف دور في تسيير معظم المؤسسات الثقافية، وهذا ما ذهب إليه مبارك المليي بقوله: «ومهما يكن من شيء فقد أدى نظام الأوقاف إلى إيجاد نوع من الوحدة الثقافية، لأنه كان المورد الأساسي للمدارس القرآنية والمعاهد والمساجد»².

مما سبق يتضح أن المراكز التعليمية التي كان يقصدها الطلبة في الجزائر العثمانية قد تمثلت في المراكز الدينية في المقام الأول، فشملت المساجد، الزوايا، و الرباطات وغيرها، والتي كانت تقوم إلى جانب تعليم القراءة والكتابة والحساب، بإقامة الصلوات، والدروس الدينية، الدعوة للجهد، ومساعدة الفقراء، أي أنها كانت متعددة الوظائف، كما كانت تمول نفسها عن طريق أموال الوقف في ظل امتناع السلطة العثمانية عن تمويلها.

المطلب الثاني: المناهج التعليمية:

لم تركز الدراسات التاريخية كثيراً على هذا الموضوع، رغم أهميته، وعليه فإن معرفة طبيعة المناهج التعليمية تمكنا من معرفة العلوم التي كانت محل اهتمام الطلاب وكذا العلوم التي كانت تدرس في العهد العثماني، ومن خلال المناهج أيضاً يمكن معرفة مستويات التعليم.

¹ - ابن ميمون، محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحمحم بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1972 م، ص ص 59-60.

² - مبارك بن محمد الهلالي الملياني: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، د.س.ن، ص ص 317-318.

وقبل التطرق لمناهج التعليم فإنه من الضروري الحديث عن مدى انتشار التعليم في الجزائر العثمانية، فلقد جاء على لسان "شمبر" ما يلي: «لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أنني لم أعثر عليه في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا ، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب. ومن الإنصاف أن نقول أن الجزائريين يتكلمون الفرنسية بطلاقة، وذلك ما دعا الحكومة الفرنسية إلى استخدامهم في الوظائف العمومية».¹

ويضيف نفس المصدر قائلا: «... إن الحضر ملمون بالعلوم ، ولكنهم لا يهتمون بها، فاذا حفظ أحدهم القرآن وتعلم الكتابة وأصبح في مقدوره أن يفسر القرآن فإنه يعد عالما كبيرا»². أما شيلير فينفي وجود العلم والتعليم في الجزائر ويدعي أن السكان يحنقون العلوم ويكتفون بتعلم القرآن³. ونحن نرى بأنه لا يمكن لأحد إنكار انتشار التعليم في الجزائر، وهو ما سيتم التطرق إليه في هذه الدراسة.

1. التعليم الابتدائي:

كان الذكور يذهبون إلى المدرسة في سن السادسة تقريبا، وهناك كانوا يتعلمون القراءة والكتابة، لم يكن التلاميذ يستخدمون الورق للكتابة عليه، ولكنهم كانوا يستخدمون لوحا صغيرا ورقيقا ومربعا ومبيضا قليلاً، ويمكن للمرء بسهولة مسح الأحرف التي رسمها عليها⁴.

كان منهاج الدراسة في الكُتَّاب يعتمد على التلقين والحفظ الذي كان له دور في عملية التعليم من خلال تحفيز ذاكرة الطفل، الذي يبدأ تعلم الحروف الهجائية عن طريق الكتابة في الألواح المصلصلة والقلم القسبي. وكانت طريقة التعليم في هذه المرحلة بسيطة، حيث يجلس المؤدب في صدر الكُتَّاب متربعا على حصير والتلاميذ متربعون حوله في شكل دائري حاملا بيده عصا طويلة، يستعين بها للحفاظ على النظام وإثارة انتباه التلاميذ⁵.

¹ - أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص13 -

² - المرجع نفسه، ص ص: 13-14.

³ - مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981م، ص 31.

⁴ - shaw, Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'Anglais par J.Mac.Carthy, paris, 1830, p78.

⁵ - رشيدة شكري معمر : التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهد العثماني، "مجلة معارف"، م 16، ع2، ديسمبر 2022م، ص995.

كان يوجد بإيالة الجزائر عدة كتاتيب لتعليم الأطفال الصغار القراءة والكتابة، وكانت طريقة التعليم في الألواح الخشبية، إذ كان لكل تلميذ لوحته الخاصة به ما يسهل عليه عملية كتابة القرآن ومحو الحروف منها بسهولة، أما المؤدب فيقوم بالإملاء وهو أن يجلس الصبي بالقرب من شيخه ويملي عليه الثمن أو الربع وكانت تتم القراءة بصوت مرتفع للآيات القرآنية والصور بالتكرار وهو أن يحفظ التلميذ ما في لوحته من حزب أو حزبين أو أكثر لما مر عليه من القرآن الكريم، ثم يرتله على مسامع شيخه¹.

وكان التلميذ يقرأ الآيات المكتوبة بصوت عال، ويشترك جميع التلاميذ في ذلك إلى أن تحدث جلبة وضجيج وتختلط الأصوات. وكان التلاميذ يذهبون للكتاب مرتين في اليوم صباحا ومساء وفي كل مرة يبقون في الكتاب ساعتين، وقد جرت العادة أن الفترة الصباحية هي المهمة لأن فيها الاستظهار والمحو والكتابة، فإذا شعر المؤدب أنه حفظ الدرس أذن له بمحوه وكتابة درس جديد، ثم يذهبون لمحو ألواحهم وتجفيفها ثم يجلسون بالقرب من المؤدب ويكتبون آخر أية موجودة في درس الأمس كبداية للدرس الجديد، أما الفترة المسائية فهي مخصصة للحفظ، أما العطلة فكانت يومي الاثنين والأربعاء، وعليه فإن التلميذ الذكي قد يختم القرآن ما دون العاشرة، غير أن معدل سن الحفظ غالبا ما يكون في الثانية عشرة، أما في باقي السنوات في العادة إلى الرابعة عشرة يقضيها في تكرير القرآن على شيخه برواية ورش ومساعدته على التلاميذ الصغار، وكان التلميذ في هذه المرحلة يتقن القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وقواعد الدين وحفظ بعض المتون التي ستكون أساس تعليمه الثانوي². أما البنات فلهن مدارسهن الخاصة يتعلمن السنن والقواعد الإسلامية والقرآن من شيختهن³.

2. التعليم الثانوي والعالي:

لم يكن هناك فصل بين أطوار التعليم الثانوي والعالي سواء في الزاوية أو المدرسة أو المسجد، وقد كان التعليم في هذه المرحلة يركز على الشرح والإملاء والمناقشة، فكان لكل

¹ - عبد الصمد حصاد وآخرون: "التعليم ومناهجه في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، م 15، ع 2، 2021م، ص 115.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ..، المرجع السابق، ص ص 339-342.

³ - علي عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 1972م، ص 27.

مدرّس "مسمع" يقرأ له نصاً أو جزء من الكتاب المراد دراسته ثم يقوم بشرحه في جلسة واحدة أو عدة جلسات، ويختم ذلك بإملاء ملخصات على الطلبة، كان التعليم في هذه المرحلة يقوم على الحفظ واستظهار المتون نظماً وشعراً، إضافة إلى تعليم الطلاب الفهم والبحث والمناقشة، وأثناء الدرس يلتفت الطلاب حول شيخهم الذي يقوم بالشرح والإملاء وطرح بعض الأسئلة على الطلبة ، كما يتلق هو الآخر أسئلة من طرفهم والملاحظ أن التعليم الثانوي والعالي لم يكن يراعي مستوى الطالب ولا سنه، ولا قدراته، أما البرنامج الدراسي فيضعه المدرسون ، فنجد منهم من يلقي الدروس مرتين في اليوم ، ومنهم من لا ينقطع عن التدريس طوال اليوم إلا في أوقات الصلاة والآذان وغيرها حسب كل أستاذ، وبهذا لم يكن هناك يوم دراسي معين تعقبه عطلة معينة للطلبة ، فكل أستاذ كان حراً في توزيع دروسه.¹

وبذلك فإننا نخلص إلى أن مناهج التعليم الثانوي كانت خاضعة لإرادة المعلم، فهو الذي يضع البرامج الدراسية التي كانت تضم العلوم النقلية والعقلية، فالأولى تشمل التفسير والحديث والفقه وأصوله والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، أما الثانية فكانت تشمل القواعد والبلاغة والمنطق وعلوم التوحيد والفلسفة والحساب وعلوم التاريخ ، ولم تكن هناك مقررات وبرامج محددة على الطلبة يدرسونها في كل عام، وإنما يرجع ذلك إلى اجتهاد المعلم ونشاطه فهو الذي يحدد الدروس للطلبة ويختار التي تلائمهم، ولم تكن هناك امتحانات سنوية أو فصلية لاختبار إمكانيات وقدرات الطالب الاستنتاجية والتحليلية وإنما يواصل الطلبة دراستهم على من يشاءون ويودون من الأساتذة.²

أما التعليم العالي فإن من أبرز سماته التنقل في تحصيله، فقد تميز الطلبة بكثرة التنقل إلى منابع الثقافة لإثراء معارفهم وتنويع مصادرهم فكانوا ينتقلون بين أرجاء الدول العربية الإسلامية مشرقاً ومغرباً لتوسيع آفاقهم العلمية والمعرفية، وكانوا يلزمون مشاهير العلماء والشيوخ في النوادي والمراكز الثقافية المنتشرة في العالم الإسلامي يعكفون خلال هذه الفترة على تحصيل العلوم وتدوين الملاحظات والتقاييد والاحتكاك بالطلبة الآخرين ليتحصل في الأخير على إجازة تبين كفاءته التي تخوله لتدريس الفقه أو المنطق وغيرها من العلوم وتؤهله

¹ - رشيدة شجري معمر: التعليم ومناهجه...، المرجع سابق، ص 996-997.

² - صبيحة بخوش: "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع9، 2015م، ص ص

لرواية الحديث وتلقين المعارف على الصورة التي تلقاها بها، وحتى يحظى الدارس بثقة أهله ومواطنيه بعد العودة إلى بلاده لأبد له من بيان يثبت أنه درس على يد علماء أجلاء وأنه أتقن أصنافاً من العلوم واغتترف من أمهات الكتب وحفظ متون كلاسيكية، حتى يتمكن من مزاوله التعليم أو التصدر للخطابة، وكثيراً ما كان الطالب يتوقف عند مرحلة معينة إما لأسباب مادية أو تتلاشى معارفه إذ لم يحظ بوظيفة فيتجه إلى أمور أخرى فتكبح مواهبه وتتضرب ثقافته وهي من بين عوامل تدني المستوى الثقافي بالجزائر خلال العهد العثماني.¹

ومن الملاحظ أن هناك فرقاً في مستوى التعليم بين أساتذة وطلاب الحواضر والبوادي، ذلك أن الأولين بحكم وفرة الكتب وحركة العلماء وتعارضهم وكثرة الاختلاط والتنافس على الوظائف، كانوا أقوى عارضة وأنفذ حيلة وأوسع أفقاً، ونجد في رحلة ابن حمادوش حوادث من هذا النوع أيضاً حيث تهكم بطلاب البادية واعتبر طلاب الحاضرة أشد ذكاءً وأغزر علماء، وكان أبو راس قد عاد من الريف إلى معسكر لأن التعليم فيها كان أقوى منه في الريف الذي لم يجد فيه ضالته بل كاد يقتل فيه موهبته، أما الإجازات فقد أصبح كل من هب ودب يحصل عليها.²

ومن بين الكتب التي لاقت رواجاً منقطع النظير في تلك الفترة نجد: صحيح البخاري، مختصر خليل في الفقه، نظم ابن عاصم في الأحكام، شفاء القاضي عياض بردة البوصري، عقائد السنوسي، لامية ابن مالك (في الصرف)، تلخيص المفتاح (في البيان)، والجمل للخنوجي ونظم لعبد الرحمن الأخضر، ونظم أبي اسحاق التلمساني في الفرائض، بالإضافة إلى السلم المرونق لعبد الرحمن الصغير.³

¹ - عبد الصمد حصاد وآخرون: المرجع السابق، ص 122.

² وقد كانت الإجازة المكتوبة في البداية محددة ومقننة، فلا ينالها أي طالب. ولكن بتوالي الزمن وضعف التعليم والتعلم وتدهور الحياة العقلية بصفة عامة أصبح منح الإجازات سهلاً وشائعاً، وكثيراً ما كان يمنح الطالب الإجازة سواء كان يستحقها أو لا يستحقها أي من جلس للدرس وتتلّمذ، ومن كان عابر سبيل، بل أصبحت الإجازة تعطى عن طريق المراسلة دون أن يرى الطالب المدرس أو يأخذ عنه شيئاً، وبعد أن كانت الإجازة مقيدة بعلم أو كتاب بعينه أصبحت مطلقة غير مقيدة، وقد اشتهر بعض المدرسين بمنح الإجازات في الجزائر كعلي بن عبد القادر بن الأمين الذي قال عنه تلميذه محمد بن العنابي بأنه قد أجاز كل من أدرك حياته. أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 384.

³ - مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص 31-32.

نستنتج مما سبق أن التعليم كان يعتمد على التلقين والحفظ، والاعتماد على الطرق التعليمية التقليدية كاستخدام الألواح الخشبية، أما المناهج الدراسية يقررها المؤدب بحسب ما يراه مناسباً لطلابه من دون أن يتدخل أحد في خياراته، فهو الذي يحدد توقيت الدروس، العطلة، وهي تختلف من مؤدب لآخر، وبذلك فإن المنهاج لم يكن موحدًا، فكان كل طالب يختار ما يناسبه من شيوخ بناء على ما يقدمونه من دروس، كما كان يمكن إختيار أكثر من معلم في نفس الوقت ، وكان التعليم يركز على العلوم النقلية ويهمل العلوم العقلية، كما كان التعليم منتشرًا بشكل أكبر في الحواضر منها في الأرياف لذلك كان المستوى العلمي لسكان الحضر أعلى منه عند سكان الأرياف.

المبحث الثاني: الحضر وحركة التأليف.

من المهم جدا دراسة حركة التأليف في العهد العثماني ومعرفة الإنتاج العلمي لدى العائلات الحضرية، ذلك أن هذا المجال يعد أبرز ما ساهم فيه الحضر في الجزائر.

المطلب الاول: العائلات العلمية الحضرية.

عرفت الجزائر في الفترة العثمانية ظهور عائلات اشتهرت بالعلم، وكانت لديها مكانة بارزة في المجتمع لما قدمته خاصة في الجانب الديني، حيث تصدرت الإفتاء والإمامة والخطابة وغيرها، وكانت هذه العائلات مرجعا لطلاب العلم.

أ. عائلة ابن النيكرو:

من أبرز أفراد هذه العائلة محمد بن إبراهيم بن أحمد بن موسى النيكرو، وقد وصفه ابن المفتي بالعالم الفقيه النحوي الأصولي المنطقي المتكلمي المحدث الأندلسي الأصل،الجزائري الولادة والمنشأ والقبر¹. تولى الشيخ محمد بن إبراهيم بن نيكرو الخطابة حيث كان ينوب في الخطبة في بعض الأحيان عن إمام جامع القشاش، وفي أحيان أخرى ينوب عن خطيب الجامع الأعظم قبل أن يعين مفتيا، ولما تولى الفتوى ترك النيابة عن إمام جامع القشاش، وتفرغ لمهامه الجديدة بالجامع الأعظم. ونظرا للمهام المختلفة التي كان

¹ - ابن المفتي حسين بن رجب شاوش : تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها. تحقيق: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلة، الجزائر، 2009م، ص 110.

يكلف بها المفتي، كان له نائب يقوم بالخطبة بدلاً عنه في بعض الفترات، إلا أن محمد بن نيكرو قرر أن يتولى الخطبة بنفسه، وقدم وَلَدِيهِ للخطبة فغضب من ذلك خليفته في الجامع الفقيه محمد بن هدى، وكثر تنازعهما ويوجد بالعائلة الكثير من الفقهاء، وهم الشيخ إبراهيم بن أحمد بن موسى النيكرو، الذي كان إماماً لمسجد ستي مريم، وابنه الشيخ محمد بن إبراهيم الذي تولى الفتوى المالكية، وولديه الشيخ أحمد، والشيخ محمد.

كان لهذه الأسرة حضور مهم في مدينة الجزائر، ولهذا تكرر ذكرها في العقود ووثائق المحاكم الشرعية. وقد اقترن اسمها بأحد المساجد الواقعة قرب باب الواد، حيث أصبح يعرف بمسجد ابن النيقرو، بعدما كان يعرف بمسجد "ستي" أو "ستنا مريم" نسبة لامرأة محسنة أعادت بناءه لقدمه من مالها الخاص. وقد اشتهر مسجد ستي مريم بمسجد بن النيقرو نسبة إلى أسرة ابن نيقرو التي كانت تقوم بإدارة شؤونه منذ ما يقرب من قرنين ويُروى عن آخر وكلاء المسجد وهو السيد مصطفى بن نيقرو أن السيدة مريم كانت امرأة صالحة وغنية من أسلافه فسبّلت جزءاً من أموالها لبناء المسجد، أو إعادة بنائه، وقد عينت أحد أجداده ليكون المشرف على المسجد، واشترطت أن تكون الوكالة بعده لأحفاده¹.

ب. عائلة الفكون:

تعد عائلة الفكون من أقدم العائلات في قسنطينة، تنتسب إلى قبائل بني تميم العربية، كما اشتهرت بالعلم والصلاح²، حظيت العائلة بإمارة الحج، وكان لها امتيازات اقتصادية ومعنوية لا حصر لها. فقد كانت من أغنى الأسر في قسنطينة تملك العقارات والأراضي وتعيش عيشة رضية هنية. وكانت لها زاوية خاصة تطعم منها الفقراء وتنتشر العلم وتستقبل الضيوف من الجزائر وخارجها،³ ومن أشهر أفراد هذه العائلة نجد:

ت- عبد الكريم الفكون (الجد): هو أبو محمد عبد الكريم الفكون .. كان مشغلاً بما يعنيه ديناً ودنيا معتكفاً على الإقراء والتدريس، وكان إماماً بالجامع الأعظم وخطيبه. وممن

¹ - فوزية لزغم: أثر الأندلسيين..، المرجع السابق، ص 775

² - أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص ص، 37-38.

³ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي..، المرجع السابق، ص 520

يرجع إلى قوله في النوازل والأحكام .. مواظباً على الأذكار وقيام الليل .. وتصدّر للتدريس في زمن الشيخ الوزان وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم¹.

ث- أبو عبد الله سيدي محمد الفكون (الأب): "محمد الفكون .. وأعقب الجد .. أبا عبد الله محمداً تولى بعده خطبة الإمامة بجامعها الأعظم الأقدم، وكان فقيهاً صوفياً، وربما يُرجع إليه في المسائل والإفتاء وكان ذا سمعة وتعفف وأوراد وقيام الليل، .. وصلحاء أهل زمنه ودفن بمدرسة الجد².

ج- عبد الكريم الفكون (الحفيد): هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحيى الفكون، ولد في قسنطينة سنة 1580، وسمي على جده، لأنه ولد على أثر وفاته³. وقد أسندت إليه الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم خلفاً لوالده الشيخ محمد عام 1045هـ/ 1635م، ثم عُهد إليه بإمارة ركب الحج فظل يتولاها إلى وفاته. وكان مدرسا ناجحا في وقته وجلس للتعليم بزاوية أسرته، وبالجامع الكبير بقسنطينة وكان يستقبل الطلبة من مدينة قسنطينة، ومن عنابة وزواوة، ومليانة ومدينة الجزائر، وما حولها غربا، وكذلك من نواحي الزيبان وغيرها فتخرج عليه عدد كبير من طلبة العلم في علوم مختلفة كعلم الكلام الشيخ والحديث الشريف، كثر إقبال الطلبة عليه لدراسة هذا العلم⁴.

ح- محمد بن عبد الكريم الفكون: وهو ابن صاحب كتاب "منشور الهداية". الشيخ الفقيه العلامة المشارك في كل العلوم. ذكره العياشي في رحلته فقال: "الخاصع الجامع بين علمي الظاهر والباطن⁵.

¹ - عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية، تح أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ص ص 47-48.

² - المرجع نفسه، ص 52.

³ - أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام ..، المرجع السابق، ص 57.

⁴ - فوزية لزغم: مرجع سابق، ص 157.

⁵ - أحمد بوشريط: "ابن الفكون وإسهاماته في التأليف: منشور الهداية "أنموذج"، مجلة العصور الجديدة، ع18، م 2015، ص 91.

كما تم ذكر أسماء أخرى من عائلة الفكون أمثال: قاسم يحيى الفكون الذي أطلق عليه الفكون اسم العم قاسم وقد كان قاضيا بقسنطينة، وعلي بن عبد الكريم عم الفكون وأكد على أنه من صلحاء زمانه.¹

خ-أسرة المقرئ:

ينسب بيت المقرئ إلى قبيلة قريشية عربية، انتقلت إلى تلمسان مع نهاية القرن 12م وأول من انتقل جدهم عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقرئ². وأهم من اشتهر من هذه العائلة في العصر الحديث نذكر:

د- **سعيد بن أحمد المقرئ**: ولد الشيخ العلامة سعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمن بن العيش المقرئ سنة 1522م، نشأ بتلمسان وتعلم على يد مشايخها، وتصادف هذه الفترة من حياته بداية الوجود العثماني في تلمسان، تولى سعيد المقرئ الفتوى بتلمسان لمدة ستين (60) سنة، كما تولى الخطابة بجامعها الأعظم لمدة خمس وأربعين سنة، إلا أننا نعلم أن المفتي كانت تجمع له عدة وظائف في الجامع الأعظم ومنها الخطابة ووكالة أوقاف الجامع الوظيفة.

وكان ذو ثقافة موسوعية، إذ كان ملما بجميع العلوم المتداولة وغير المتداولة في عصره، ويصفه ابن مريم بقوله: " له باع في فن حديث البخاري وغيره، وكان علامة في التوحيد والفقه ... أتقن كل علم حافظا للغة العربية والشعر والأمثال". كما كان حسب ابن مريم: "إماما في العلوم العقلية كلها حسابا ومنطقا وفرائض وهندسة، وطبا وتشريحا".³

ذ- الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ:

يعد أحمد المقرئ من أشهر أعلام الجزائر في عصره، هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد القرشي التلمساني المالكي،

¹ - امحمد بوشريط : المرجع السابق ، ص 90.

² - فوزية لزغم: البيوتات والأسر...، المرجع السابق، ص 318-319.

³ - المرجع نفسه ، ص 321-322.

الأشعري، المقري¹. اختلف في تقدير سنة ولادته ويحتمل أنها في 1575، فهو الأديب المؤرخ، الحافظ المتقن الرحالة الموسوعي، تلقى احمد المقري تعليمه على يد عمه سعيد المقري، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس علوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير وعلوم اللغة والآداب والبلاغة، كما درس على يد العديد من علماء تلمسان الآخرين، شهدت فترة عيشه بتلمسان عدة أحداث سياسية واضطرابات أفقدتها مكانتها العلمية، حيث عرفت هجرة عديد العلماء إلى المغرب الأقصى خاصة بعد دخول العثمانيين إليها، وكان أمر المقري وعلمه قد أشتهر بتلمسان وخارجها، حتى وصل إلى المغرب الأقصى، وسمع به علماءه وراسلوه وهو بتلمسان².

وبالرغم من أنه هاجر نحو المغرب والمشرق إلا أن علاقاته مع علماء الجزائر لم تنقطع برحليه عن تلمسان، إذ كان وهو في فاس يتبادل مع الرسائل مع بعض علماء الجزائر منهم عبد الرحمن بن علي المحاجي أبهلول ، وأثناء رحلته إلى المشرق سنة 1618م نزل بمدينة الجزائر، وألقى بها دروسا في التفسير، وأحاطه علماءها وأدباؤها بالتقدير والاحترام، وتبادل معهم الأغاز والأشعار، وظل يتبادل الرسائل مع بعضهم وهو في المشرق كالشيخ سعيد قدورة، والشيخ عبد الكريم الفكون ولهذا فإن هجرته منها، وهو سليل أحد أبرز البيوتات العريقة بتلمسان كانت ضربة قاسية أخرى تلقتها هذه المدينة تضاف إلى ضروب المحن التي تعرضت لها. يعد الشيخ أحمد المقري من بين العلماء الجزائريين الأكثر تأليفا، إذ ترك مؤلفات في فنون مختلفة، فقد كان مولعا بالتاريخ كما ألف في التوحيد والحديث الشريف وغيرها من الفنون³.

ر - الشيخ محمد بن محمد شقرون المقري 1676م:

لم يحظ الشيخ محمد المقري بترجمة خاصة في كتب التراجم المتداولة إلا أن تلميذه الشيخ مصطفى بن رمضان العنابي البوني الحنفي خلد أسانيده في ثبته، وأثنى عليه بقوله: "

¹ - سفيان صغيري: "موقف أبو العباس المقري من بعض القضايا السياسية في المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ / 17م"، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، م5، ع1، جانفي 2023م، ص 486.

² - سفيان صغري، رشيد قسيبة: "إسهامات العلامة أبو العباس أحمد المقري في النشاط التعليمي في المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ / 17م"، مجلة الإحياء، م 21، ع 29، أكتوبر 2021، ص ص 525-526

³ - فوزية لزغم البيوتات والأسر ..، المرجع السابق، ص ص 325-327.

العالم العلامة، والبحر الفهامة خاتمة المحققين وإمام أئمة المسلمين، وسيد دهره، وفريد عصره أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد شقرون بن أحمد المقرئ التلمساني "كان من المدرسين البارزين في عصره، أشهر تلامذته الشيخ الكمّاد القسنطيني، والشيخ مصطفى بن رمضان العنابي الحنفي، الذي لازمته" مدة مديدة تزيد على اثني عشر سنة، وحضر حلقاته في: جميع صحيح البخاري، وشمائل الترميذي، والتوحيد، والمنطق، والأصول، وعلم التصوف، وغير ذلك¹.

لقد كانت للعائلات العلمية الحضرية الجزائرية حظوظا أكثر من غيرها لتولي وظائف الإمامة والقضاء والإفتاء، خاصة في مركز السلطة والبيالك الثلاثة، فهي كانت محل تنافس العلماء، وقد كانت هذه الأسر العلمية معروفة بعلمها وتقواها الأمر الذي جعل هذه الأسر تكسب سمعة تجاوزت في بعض الأحيان حدود البلاد، كما أن مكانة هذه الأسر لم تمنعهم من ممارسة وظائف أخرى كالتجارة مثلما اشتهرت به عائلة الفكون مثلا.

المطلب الثاني: العلوم العقلية:

عرف المجتمع الجزائري في العهد العثماني انتشارا واسعا للعلوم النقلية على حساب العلوم العقلية، وانكبّ العلماء على التأليف في علوم اللغة والفقه والحديث والتفسير وغيرها، أما الطب والرياضيات والفلك فكان من النادر أن يهتموا بها.

1. الطب:

لم يلقَ الطب خلال العهد العثماني العناية اللائقة به لانصراف بعض العلماء عنه إلى دراسة العلوم النقلية الأخرى، أو لسيطرة فكرة القضاء ولقدر في هذا الميدان على عقول الناس بصفة عامة، واتجاه البعض الآخر إلى التداوي بالأعشاب الطبيعية للمحافظة على الصحة². ومن بين العلماء اللذين ألفوا في هذا المجال نجد:

محمد ابن أحمد المعروف بابن مريم التلمساني، كتب في الطب منها فتح الجليل في أدوية العليل.

¹ - فوزية لزغم: المرجع السابق، ص 327-329.

² - بوشيبية ذهبية: "العلوم العقلية والفنون في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة متون، ع4، ديسمبر 2017م، ص 123.

محمد بن أحمد الشريف كتب في التصوف ورسالة في الطب النبوي وسماها "المن والسلوى في تحقيق معنى حديث لا عدوى" رسالة صغيرة تقع في ثلاثة عشرة ورقة حلل فيها الحديث المذكور وانتصر فيها للطب النبوي أهداها للسلطان العثماني أحمد سنة 1736م أحمد بن قاسم البوني خلط بين الطب المعروف والطب الروحاني، من أعماله "إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة"، الذي ألفه / 1704م¹.

وألف أبو راس " كذلك كتاب سماه "ما رواه الواعون في أخبار الطاعون حيث جمع فيه ما قيل عن الطاعون وأضراره، مستوحيا ذلك من الطاعون الذي ضرب معسكر وهو فيها سنة 1202 هـ. وله كتاب آخر في الوباء عنوانه "الكوكب الدرّي في الرد بالجدرّي" وهو مخطوط محقق من طرف السيد بوكعبر بلقرد، ومن الذين ألفوا في الوباء أيضا محمد بن رجب الجزائري" الذي وضع رسالة في الطب سماها "الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون" وقد جمعها من كتب عديدة في الطب².

كما ألف عبد الرزاق ابن حمادوش كتاب أوسمه بـ "الجواهر المكنون من بحر القانون" ورتبه على أربعة كتب الكتاب الأول في السموم وذوات السموم والعلاج منها، أما الكتاب الثاني فكان في الترياقات وما يجري من جرائها وبعض المعاجين التي يضطر إليها. بينما كان الكتاب الثالث في الأمراض، وقد بناه على جدول حنين بن إسحاق". أما الكتاب الرابع خاص بالأعشاب والأدوية وقد خصصه لحل ألفاظ المفردات وهو كتاب كشف الرموز³.

وقد وصف ابن حمادوش نفسه بقوله "أنا عشّاب وصيدلاني وطبيب في بعض الأمراض"⁴، وعليه فإن الطب أساسا كان يعتمد على الأعشاب والنباتات الطبية والعقاقير التي توجد في المنطقة مع وجود قلة توارثت المهنة عن الآباء شفهيّا وتعلموها عن طريق

¹ - وافية نقطي: "مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة آفاق فكرية، م5، ع10، ماي 2019م، ص ص 26-27.

² - بوشيبة ذهبية: العلوم العقلية...، المرجع السابق، ص 129.

³ - المرجع نفسه، ص 127.

⁴ - عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، المرجع السابق، ص 164.

التجربة، فكان هنالك من إختص في الجراحة والمختص في الحجامة والختان وجبر الكسور منهم¹.

أما "سيمون بفايفر" فقد أكد في مذكراته على عدم وجود أطباء في البلاد، فخلال الحملة الفرنسية على الجزائر أمر بعلاج الجرحى مقابل حريته، وقد ذكر أنه استخدم كتان الخيام القديمة كضمادات، لعدم وجود وسائل أحسن منه، وقد ذكر مساعدة الحلاقين له، لكن يذكر أنه كانت تنقصهم الخبرة والآلات اللازمة للضمادة، فمن أصل خمس وعشرين شخصا كلفوا بمساعدته، نجح في تعليم خمسة فقط كيفية استعمال الضماد المناسب².

لا بد أن نشير إلى أن ما ذكره بفايفر لا يدل على وجود غياب الطب، وإنما ضعف في تقنيات التمريض، كما أن حكمه بالفشل كان على فئة الحلاقين الذين لم يكونوا محترفين في فن التمريض.

كما أن هذا لا يعني عدم تمكن الأطباء من علاج كل الأمراض فقد كان الأطباء ينجحون مثلا في علاج أمراض النقرس، والمفاصل، وأوجاع الحصوة³. أما طريقة علاج الالتهابات الرئوية كالسل فكانوا يلجؤون إلى استعمال أغصان الدفلى كبخور أو أوراق السدر كشراب بعد غليه، واستعملت الحناء لعلاج الحروق ولدغات الحيوانات السامة، والجنجلان مع الحليب المغلي للبحة والسعال. وتتم معالجة الجروح الخطيرة بسكب الزبدة الساخنة على الجرح، كما يستخدمون أوراق الصبار بعد تحميمها ربع ساعة لمعالجة الأورام والالتهابات والقرحة والنقرس ومن أشهر الأطباء في الجزائر خلال العهد العثماني الدين اهتموا بطب الأعشاب وتركوا فيها مصنفات قيمة نذكر: "محمد بن سليمان بن الصايم التلمساني ويلقب الجازولي وهو طبيب تلمسان، ترك نظاما في الأوزان الطبية بالإضافة إلى الشيخ عبد الله بن

¹ - نادية فتيسي: الطب في العهد العثماني من خلال رسائل المجموعة 1641- رسالة صالح باي إلى وكيل الباستيون رقم 53 نموذجاً، المجلة التاريخية، م6، ع2، 2022م، ص 330.

² - سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تع أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م، ص ص 86-88.

³ - فوزية لزغم: "الطب والأطباء بمدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال كتاب " الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال لألفرانشونبيوغ"، مجلة معارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع21، 2019م، ص 120.

عزوز المراكشي التلمساني الذي ترك مؤلفاً بعنوان ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة.¹

2. علم الفلك والحساب:

أ. علم الفلك:

هو علم يعلم منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية، وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعاد ما بينها، وحركات الأفلاك والكواكب ومقاديرها، وموضوعه الأجسام المذكورة من حيث كميتها وأوضاعها، وحركاتها اللازمة لها². ومن بين المؤلفات في علم الفلك نجد: كتاب معالم الاستبصار: فرغم ضياع الجزء الهام منه إلا أنه احتوى على معلومات مهمة في علم الفلك خلال العهد العثماني، كما نجد براعة التلمسانيين في الفلك والتنجيم خلال هذا العصر منهم "أحمد بن محمد ابن عيسى" في مؤلفه لسان الفلك. ومنهم عبد الله بن عزوز المراكشي الذي ترك عدة مؤلفات في هذا العلم منها: لباب الحكمة في علم الحروف و نعم الأسماء الالهية، أتمد البصائر في معرفة حكمة المظاهر، وهناك مؤلف آخر مجهول من تلمسان قام بشرح رجز أبي التقرع في الفلك تحت عنوان "التاج المرصع في شرح رجز أبي مقرر، و لعبد الرزاق بن حمادوش أيضاً تجربة في علم الفلك و لو أنها في مجملها نقول أكثر منها تأليف، فقد ذكر في مؤلفه "لسان المقال" إهتمامه بعمل الفلك وصورة الأرض و الأرباع و غير ذلك، له تأليف أخرى منها رسالة في الكرة الفلكية في القرن 18م، ومنهم "محمد بن أحمد الصخري" الذي ألف كتابه "القلادة الجوهريّة في العمل بالصفحة لعجمية، والملاحظ أن عمل الشيخ الصخري كان أكثر علمية من مؤلفات غيره في الفلك.³

وقد فصل العلماء النظر في حكم الاشتغال بعلم النجوم إلى واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحذور، فالواجب النظر للاستدلال على أوقات العبادة والمندوب النظر للاستدلال على وجود الصانع وعلمه وكمال قدرته، والمباح النظر من حيث إنها مؤثرة بإجراء العادة لا

¹ - نادية فتيسي: المرجع السابق، ص 331.

² - ابن أكتاني: إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر وأحمد حلمي عبد الرحمان، دار الفكر العربي القاهرة، د س ن، ص 202

³ - بوشيبية ذهبية: المرجع السابق، ص ص 121-122.

بالطبع. والمكروه اعتقاد أنها مؤثرة بالطبع. والمحذور اعتقاد أنها مدبرات على سبيل الاستقلال مستحقة للعبادة¹.

ب. علم الحساب:

من أبرز علماء الحساب والفرائض في العهد العثماني عبد الرحمن الأخضر، فقد نظم خمسمائة بيت في هذا المعنى سماها (الدرة البيضاء) وقسمها إلى ثلاثة أقسام الأول خاص بالحساب، والثاني خاص بقواعد الفرائض والثالث خاص بالقسمة العملية للتركات، وقد وضع الأخضر نفسه شرحاً على الدرة البيضاء².

وقد وُجِدَت أرجوزة في الحساب في الحساب لصاحبها "علي بن عبد القادر"، التي وضعها تقريباً في ثلاث عشر ورقة كلها في الجبر خصها بموضوع الكسور، حيث التجأ إلى هذه الطريقة ليسهل على الطلبة حفظها واستيعابها نظراً لتقشي ظاهرة النفور من الرياضيات وغيرها من العلوم العقلية، كما نجده في الأبيات الأخيرة يناشد العلماء والطلبة إلى الإقبال على هذا العلم لأنه ينمي الذكاء ويفيد في الاعتناء ببقية العلوم الأخرى³.

أما الهندسة لم نعر على وثائق تؤكد اشتغال الجزائريين خلال هذه الفترة بهذا العلم إلا ما ورد في رحلة "ابن حمادوش" عندما أشار أن له تأليف في المساحة والهندسة بقوله: "وفي يوم الخميس موفي عشرين من صفر ألف فت فتح المجيب في علم التكعيب، وسببه أنني كنت أطلع تأليف النصارى فوقع على مسألة من علم التكعيب فأعملت فكري حتى أخرجتها ثم بدا لي أن أولف فيها .."⁴.

وعموماً فالإنتاج العلمي كان ضئيلاً خلال العهد العثماني، ولولا بعض الأعمال التي كتبها عبد الرحمن الأخضر وسحنون بن عثمان الونشريسي وابن حمادوش لخلا هذا العهد

¹ - ابن أكتاني: المرجع السابق، ص 204.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص 405.

³ - بوشيبية ذهبية: المرجع السابق، ص ص 117-118.

⁴ - المرجع نفسه، ص 119.

أو كاد من التأليف في العلوم الحسابية والفلكية ونحوها ومع ذلك فإن هؤلاء كانوا يستمدون موادهم من تراث الحباك والسنوسي وابن القنفذ والقصادي¹.

3. علم المنطق:

إذا حكمنا على إنتاج الجزائريين في علم المنطق وجدنا أنه كان إنتاجا قليلا بل نادرا ويرجع هذا النقص إلى سببين رئيسيين الأول صعوبة هذا العلم، لأنه يتطلب الاطلاع الواسع على كتابات الأولين والأجانب والإضافة عليها ونقدها، والثاني طغيان علم التصوف واعتبار علم المنطق من علوم التي قد تؤدي إلى الكفر والإلحاد والزندقة. ورغم ذلك فقد كان هناك بعض المدرسين قد اشتغلوا بالمنطق كسعيد قدورة كما اشتغل به بعض العلماء أمثال ابن حمادوش، ويعتبر عبد الرحمن الأخضرى أبرز من ألف في المنطق وجذب إليه اهتمام العلماء ولكنه نجح في اختصار قواعده وتوضيحها في منته المعروف بـ (السلم المرونق) وفي شرحه الوافي والسهل عليه وهو الشرح الذي أصبح عمدة الأستاذ والتلميذ على حد سواء². كما ساهم "أبو راس الناصر" في هذا العلم عندما وضع شرحا على سلم الأخضرى سماه "القول المسلم في شرح السلم في المنطق أما "الشميني فقد وضع شرحا على مرج البحرين" "لأبي يعقوب يوسف ابن ابراهيم الورجلاني" سماه "تعاضم الموجين في شرح مرج البحرين" وكانت مساهمة أبي راس الناصر والشميني هامة جدا باعتبار أنهما لم يكونا من المتصوفة، وعليه نجد أن رغم المساهمات التي أبداهها العلماء الجزائريون في علم المنطق إلا أنها بقيت رهن الشرح ودراسة أعمال علماء آخرين باستثناء مساهمة الاخضري التي أثبتت بحق أنه توفر علماء قيمين خلال هذا العهد ، على الرغم من عدم توفر الظروف المناسبة³.

¹ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص 404.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر...، ج2، المرجع السابق، ص ص 149-150.

³ - بوشيبة ذهبية: المرجع السابق، ص 133.

4. علم التاريخ:

يهتم التأريخ بتسجيل أهم حوادث الأمم،¹ أو هو التدوين القصصي لشؤون العالم أو بعضه.² غير أن الاهتمام بهذا العلم كان ضعيفا، إلا أن ذلك لم يمنع انكباب بعض العلماء على الإلمام بتراث الأولين والتأليف فيه، حيث عرفه أبو راس "بان التاريخ تحفة المجالس المغني عن الأنيس والمجالس. غير أن العمل في هذا العلم اقتصر على التواريخ المحلية والتراجم والرحلات، ولم يكتب واحدا منهم تاريخا عاما للجزائر وهذا راجع لعدة أسباب:

- كان المؤرخ يخضع لهيمنة الثقافة الجافة أي النظرة القديمة للتاريخ من كونه تاريخ أمراء وملوك، ومعظم التأليف التاريخية كانت في شكل تصميمات أدبية (قصائد - أرجيز)، وبذلك يصبح التاريخ تفسير ما عجز عنه أو ضاق به الأدب ويكفي أن نشير إلى رجز "محمد الحلفاوي" في فتح وهران الأول³.

كما أكد أبو راس الناصري على إختلاف العلماء وعدم إتفاقهم بقوله "النسب والتاريخ ضعفا في هذا الزمان واندرسا، فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع اختلافا كثيرا في الأمة الواحدة لاختلاط الأنساب، واختلاط المذاهب".⁴

ومن بين المؤلفات التاريخية نذكر: تاريخ البوني الذي كان تأليفه في السيرة النبوية نظما وبعضها نثرا، ومن ذلك نظم "الخصائص النبوية" ومن نثره "تتوير السيرة بذكر أعظم سيرة" أما في التاريخ العام والمحلي، نجد كتاب "أحمد المقري" "نفح الطيب" و"أزهار الرياض" الذي يتناول جوانبا هامة من تاريخ الأندلس، وفي التاريخ المحلي هناك عدة تأليف من بينها " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب "كبني عامر لعبد القادر المشرفي"، الذي تعرض فيه بالتفصيل لقبائل بني عامر مع بيان الحكم الشرعي في تعاونهم مع الإسبان، ومن الذين اهتموا بالتراجم والتاريخ "ابن المفتي" في كتابه " التقبيدات"

¹ - هاملتون ألكسندر روسكينغ: علم التاريخ، تر إبراهيم خور شيد وآخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م، ص 15.

² - فوسي جون كوب هيرنشو: علم التاريخ، تر: عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1937م، ص9.

³ - بوشيبه ذهبية: "العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع3-4، الجزائر، 2021م، ص ص 134-135.

⁴ - أبو راس الناصري المعسكري: زهرة الشماريخ في علم التاريخ، تح: بن عمر حمدادو، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ب س ن، ص 27.

الذي بعد مؤلف ضخماً ترجم فيه لأحوال عصره وقسمه إلى ثلاثة أقسام: المقدمة قسم العلماء والمجتمع - قسم البشوات والحياة السياسية ترجم لحوالي 54 باشا وهو عمل كبير مقارنة مع أعمال ذلك العصر في التاريخ¹.

وبالتالي فقد عرفت حركة التأليف في القرن 16 ركوداً ثقافياً نتيجة النزاع السياسي الكبير الذي عانت منه الثقافة في هذا القرن، الذي شهد هجرة العلماء الواسعة وكثرة الحروب، ثم أخذت الحياة تدب فيها في القرن 17م باستقرار الأوضاع السياسية وازدهار الحياة الاقتصادية وتوافد العلماء المسلمين على الجزائر ووفرة الكتب. لكن بحلول القرن 18م وبداية القرن 19 ظهرت حركة قوية في صفوف العلماء والعناية بالتعليم وكثرة التأليف، ففي أواخر هذا القرن بدأت حركة نشيطة بتشجيع التعليم والعناية بالأوقاف والاهتمام بالعلماء والكتب. وقد ساهم في هذه الحركة بعض البايات أمثال صالح باي والحاج محمد الكبير، ومن جهة أخرى قلة الآثار المبتدعة في إنتاج العلماء بحكم الجمود العقلي وشيوع الدروشة والتخلف السياسي فالتمس هؤلاء العلماء نشاطهم العقلي في دراسة أعمال السابقين والنظر إليها نظرة تقديس. وعكفوا عليها يشرحونها ويحشون عليها ويكررونها مختصرين لمطولاتها ومطولين لمختصراتها أو موضحين لغوامضها.

وقد شمل ذلك كتب الفقه والنحو والتصوف والسيرة والتوحيد والمنطق. وإذا لم يجد العالم ما يشرحه لغيره الآثار عمد إلى شرح أعمال نفسه. فهو ينظم مثلاً قصيدة أو رجزاً في موضوع ما ثم يقوم بشرح ذلك كما فعل أبو راس وابن سحنون وأحياناً كان العالم يؤلف مختصراً ويطلب من زميله أن يشرحه كما فعل عبد الرحمن المعسكري صاحب (عقد الجمان) مع محمد الجوزي المزيلى.

ولم يكن ذلك مقصوراً بالطبع على علماء الجزائر. كما أن ظاهرة الجمع بين عدة علوم كانت منتشرة وموضع تفاخر بين العلماء، فأنت لا تكاد تجد في سيرة عالم من العلماء إلا أنه جمع بين علوم النقل والعقل وعلوم الظاهر والباطن. وهم فعلاً كانوا كذلك يأخذون من كل علم بطرف ويبثون ذلك في تأليفهم أيضاً إذ يذكرون فيها الطرائف والنوادر والأخبار

¹ - بوشيبية ذهبية: العلم والعلماء...، المرجع السابق، ص ص 134-135.

والحكايات والاستطرادات المتنوعة. ويا ويح العالم الذي اقتصر في مجاله على علم واحد أو ألف ولم ينوع ويستطرد.

كما أن ظاهرة الحفظ كانت شائعة عندهم ويتباهون بها وكان بعضهم يحفظ كتباً بأسرها. ومن الجدير بالذكر أن علماء الجزائر قد ألفوا تقريباً في كل العلوم المعروفة حينئذ إلا ما نسميه اليوم بالفنون¹.

وخلاصة القول أن العلوم العقلية كان الاهتمام بها ضعيفاً والتأليف فيها متواضع جداً والملاحظ أن العلماء اللذين إهتموا بالطب هم أنفسهم اللذين إهتموا بعلم الفلك والتاريخ، والمنطق وغيرها ونجد أنهم كانوا علماء دين في نفس الوقت أي أنهم لم يكونوا في الغالب من أهل التخصص، كما أن كتاباتهم غلبت عليها الشروحات ونادراً ما كان العلماء يأتون بالشيء الجديد، إذن العلوم العقلية غلب عليها الجمود الفكري وعدم الاهتمام، وانشغالهم بالعلوم النقلية.

المطلب الثالث: العلوم النقلية:

1. علم الكلام (علم التوحيد):

يعتبر علم الكلام من أهم العلوم الإسلامية، وأقدمها تاريخاً، و يهتم علم التوحيد بما يلي:

دراسة العقائد الإسلامية الحقّة والدفاع عنها، مقابل آراء أهل البدع والشبهات، كما يستخدم أسلوب المحاجة الكلامية، التي تعتمد على الأدلة والبراهين العقلية والنقلية لأجل الكشف عن الواقع وإثباته، إلى جانب ذلك يعتمد على المنهج الجدلي، كما يعرف كذلك بعلم التوحيد" و"علم العقائد والمعتقدات لأنه" يثبت الوجدانية لله تعالى في جميع الكمالات ، وهذا ما جعل علماء الجزائر يهتمون ملياً بعلم التوحيد وقضاياها وإشكالاته، إما بطريقة مبسطة أو بطريقة معمقة تقوم، على المنطق وآليات اشتغاله وطرق براهينه واستدلّاله... ويسعى إلى تنزيه الذات الإلهية والدفاع عن الوجدانية، ودحض العقائد الفاسدة اتجاه الألوهية.² و من

¹ - أبو القاسم سعد الله : ج1، المرجع السابق، ص ص 19-21.

² - إبراهيم عيو: العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/16-19م، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2017/2018، ص ص 158-159.

علماء الجزائر الذين خاضوا في علم الكلام نجد عبد القادر الراشدي مفتي قسنطينة عندما اتهمه علماء بلده بالكفر والإلحاد لقوله بالتجسيم ، وهناك محمد بن عبد الرحمن الحوضي وله أرجوزة في التوحيد معروفة وفيها نظم جميع مسائل التوحيد المتعارف عليها وجعلها سهلة مفهومة المعنى، كما هيمنت كتب السنوسي التلمساني والذي هيمنت كتبه في العقيدة وشروحها على الساحة الفكرية، وشهدت إقبالا منقطع النظير من قبل طلبة العلم والعلماء¹.

إن علم الكلام هو الحقل الذي كتب فيه أكثر من غيره؛ فقد ألف فيه عدة كتب وشروح انتشرت في أقطار العالم الإسلامي في خلال قرون كثيرة. وتعتبر كتبه المعروفة بشرح السنوسية الكبرى المسمى " عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد " والعقيدة الوسطى وشرحها، وشرح أم البراهين في علم الكلام، وشرح المقدمات في التوحيد، أهم وأبرز إنجازاته في هذا المجال².

2. علوم التفسير:

عرفه أبو حيان الأندلسي "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها"³. وقد انعكس التخلف الثقافي على العلوم الشرعية عامة وتفسير القرآن بشكل خاص، لأنه يحتاج إلى ثقافة دينية وتاريخية ولغوية واسعة وعميقة بالإضافة إلى استقلال عقلي كبير وهذا لم يتوفر لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني، ورغم أنهم يعطون عناية عظيمة لكل ما يتعلق بالقرآن الكريم وشرح وتفسير الآيات القرآنية وإزالة الغموض لفهمها، إلا أنه رغم هذه الجهود الجبارة بقيت هذه الأعمال وقليلة ومن أبرز العلماء الذين اشتهروا بعلم التفسير نذكر:

محمد المغيلي التلمساني: له في هذا الفن البدر المنير في علوم التفسير، مصباح الأرواح في أصول الفلاح في كراسين أرسله للسنوسي وابن غازي فقرظاه، شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي. أما شقرون بن محمد المغراوي: له الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين، تقييد على مورد الظمان مخطوط بالخرانة التيمورية. أما أحمد بن علي

¹ - إبراهيم عبو : المرجع السابق ، ص ص 159-160.

² - قاسم جاجاتي: "إسهام السنوسي والمغيلي في إحياء علم الكلام الأشعري والفقه المالكي ونشره في بلاد المغرب العربي وغرب إفريقيا"، مجلة المفكر، م3، ع 1 2019م، ص 55.

³ - هوارية زاوي: جهود علماء تلمسان في التفسير خلال العهد العثماني، مجلة الاستيعاب، ع 3، سبتمبر 2019م، ص 133.

يوسف بن تقي الدين أبو العباس فله إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن، تحفة الأريب بأشرف غريب. أختصر فيه غريب القرآن للعزيمي. وله إرشاد الزمر لمعنى قوله تعالى: "لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ"، بالإضافة إلى الفتح القدسي تفسيرا آية الكرسي، نظم غريب القرآن لأبن عباس. التسيير في إسنادنا في كتب نظم غريب القرآن لأبن جزي¹.

3. علم الحديث النبوي:

يعد الحديث من العلوم الأولى التي اعتنى بها الجزائريون في العهد العثماني تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة، ولعلّ هذا راجع إلى صلة علم الحديث بالدين وبالتصوف معا كما أنّ علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ، وقد اعتمدوا في أعمالهم على الكتب الستة يدرسونها ويسندونها ويحفظونها، غير أنّ عنايتهم بصحيح البخاري فاقت كل العناية فكتبوا عليه الشروح و الحواشي، وتدارسوه للبركة والحفظ، واستعملوه في المناسبات الدينية والحربية إلى درجة أنه بلغ عند بعضهم مبلغ القداسة، نجد من العلماء الذين برعوا في الحديث "عبد الكريم الفكون" و"ابن العنابي" و"علي بن الأمين" و"يحيى الشاوي" و"أحمد المقرئ" وغيرهم كثير، ذلك أنّ الحديث لم يكن يدرس لذاته وإنما للعمل به في مجالات المعرفة المختلفة حيث ترك "أحمد المقرئ" عدة تأليفات في علم الحديث والسنة النبوية "فتح المتعال في مدح النعال، أزهار الكمامة في أخبار العمامة، ونبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والإمامة و"الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين".

أما الحافظ أبو راس الناصر فقد ألف "الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات"، "مفاتيح الجنة وأسمائها، في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها"، "والسيف المنتضى فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضى". نلخص من خلال ما سبق أنه بالرغم من عناية الجزائريين بالحديث عموما، وبصحيح بخاري خصوصا، إلا أنّ التأليف فيه لم تخرج عن بعض الأمور التقيدية مثل الشروح والحواشي والأراجيز والرسائل الصغيرة².

¹ - إبراهيم عبو: المرجع السابق، ص ص 171-172.

² - دهبية قوشية: العلم والعلماء...، المرجع السابق، ص 125.

4. علوم الفقه:

كان الإنتاج الفقهي في الجزائر العثمانية يسير على نمط تراجع العلوم الدينية والدينيوية، فهو بذلك يمتاز عادة بالتكرار واستنساخ بعضه بعضا، فالفقيه عادة ما يملئ على طلابه كراسا شرحا أو حاشية وهي في الغالب مختصر خليل فكثرت هذه الإملاءات والتأليف طول العهد العثماني دون جديد أو تجديد في الأمور المستحدثة، فكان الهم الأول للفقيه أن يفيد طلابه الحاضرين بالدرجة الأولى، وكما يحلو للدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله تسميته: "بمرض الشرح والحاشية وهو في الواقع مرض العلم في العصر كله.

من بين علماء الفقه الجزائري العثمانية نذكر أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني، الذي ترك لنا كتاب جامع الإختصار والتبيان". أما عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد عامر الأخضرى فله مختصر في فقه العبادات، وهو متن اشتهر باسمه مختصر الأخضرى"، يتعرض فيه للطهارة وأقسامها، وللصلاة وفرائضها وشروطها ويختمه بباب السهو، وهو على فقه الإمام مالك¹، بالإضافة إلى أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني: وله نظم يشتمل على سنده في الفقه، منظومات في التوقيف، إظهار القوة بإحكام الباب والقوة، الغوثية بأحكام بعض المسائل اللوثية، فتح الشيك عن مسألة لبك الإعانة على بعض مسائل الحضانة، نور الشمعة المذهب لظلام أهل الرياء والسمعة في بعض مسائل الحجر والشفعة، أعلام القوم بفضائل الصوم، أما المقرئ لديه كتاب: فتاوى في الحضانة².

لقد اهتم العلماء كثيرا بالعلوم النقلية وجعلوا جل اهتمامهم منصبا عليها، فتنوعت التأليف وتعددت، وبرز فيها علماء تجدد ذكرهم في مختلف العلوم مثل السنوسي، ابن حمادوش، أبو راس الناصري وغيرهم، لكثرة مؤلفاتهم في هذا المجال.

¹ - إبراهيم عيو: المرجع السابق، ص 186.

² - بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائر: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، ص ص122-124.

المبحث الثالث: الفنون عند سكان الحضر:

سنتطرق في هذا الجزء إلى نوعين من الفنون: الفن المعماري والفن الموسيقي، فأما الفن المعماري فيشمل الفن المدني المتمثل في المنازل والقصور والحمامات والفنادق وغيرها أما العسكري فيظم القلاع والحصون والعمارة الحربية بكل أنواعها.

المطلب الأول: الفن المعماري

تعتبر البنايات الحضرية من أهم العلامات الدالة على التقدم والتطور للدول، وهي كذلك تبرز طبيعة تلك البلاد. وهو ما يمكن أن يبرز من خلال تتبع شكل العمران بالجزائر خلال العهد العثماني من خلال:

1. المساكن العامة والقصور:

كانت المساكن في الجزائر خلال العهد العثماني تتخذ طرازا واحدا تقريبا يتكرر بنفس الشكل والوحدات والعناصر في مختلف المدن على غرار مدينة الجزائر ووهران وقسنطينة ومستغانم والمدينة والبلدية ومليانة ، ولا يبدو الاختلاف إلا من حيث الحجم والمساحة وتعدد الأجنحة، وتشكلت هذه المساكن في الغالب من ثلاث مستويات ، طابق أرضي وآخر علوي وسطح¹، والطابق الأول يسمى بالسفلى تكثر بداخله السورى الاسطوانية الشكل والمنحوتة من الرخام أو الحجر الجيري، ويدخل الساكن إلى داره من باب متين مقوس الجزء العلوي ومستطيل الجزء السفلي، ومثبت في رف من رخام بالجدار، وبالباب فتحة مسيجة بالحديد تساعد على الرؤية نحو الخارج، ومصرع الباب مرصع بالمسامر ليزيدها متانة، وحلقة حديدية لدق الباب، والطابق الأول لاستقبال الضيوف ، توجد به السقيفة، وغرف عديدة، تفتح كلها نحو وسط الدار أو ساحة المنزل، تعلو أبوابها الأقواس وتكثر بها الأروقة. وفى هذه الساحة المفروشة بالبلاط بئر لسقى أصحاب الدار بالمياه اللازمة للشراب والغسل وفوارة تنبجس منها المياه العذبة لتلطيف حرارة جو الدار في فصل الصيف، وتجميل الساحة في فصل الشتاء².

¹-علي بوتشيشة: " المسكن في الجزائر خلال العهد العثماني؛ دراسة في عناصره المعمارية"، مجلة الدراسات الأثرية، 19، ع 1، 2021م، ص ص 88-89.

²- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص 222، 223.

أما القصور¹ وقد تميزت واجهاتها في مدينة الجزائر بالبساطة وعدم الإلتقان تمتاز بمدخل محلي بعقد حدوة الفرس المرتكز على عمودين من الرخام، كما أن واجهات القصور في الجزائر لا توجد بها ما يلفت الانتباه عدا بعض النوافذ المتوسطة، التي تقع على جانبي الباب وفوقه، وظيفتها الأساسية تنوير السقيفة و تهويتها ، وكذلك الحال بالنسبة للجناح الذي يقيم فيه حارس القصر أو بعض الفتحات المسيجة (المقضبة) بالشباك الحديد، تضيء الممر الثانوي للقصر، أو تضيء المستوى الأرضي، تتخذ السقيفة مكانا بارزا في المسكن الجزائري الإسلامي بصفة عامة وفي القصور بصفة خاصة، لأنها تقوم مقام غرفة الاستقبال. ويختلف مكانها من قصر إلى آخر، حسب تصميم القصر. وأحيانا نجدها تتصل مباشرة بالطابق الأرضي للقصر، ومهما كان موقعها فهي تأتي مباشرة بعد البوابة الرئيسية للقصر² ومن أشهر القصور في الجزائر قصر عزيزة وقصر خداج العمياء³. ينظر الملحق رقم 12

2. الحمامات والفنادق:

الفنادق كانت عبارة عن عمارات كبيرة تضم عدة أفنية تتوزع حولها الغرف، وعدة مخازن للسلع، إضافة إلى ذلك كانت توجد بعض المنازل خارج باب عزون ينزل بها القادمون من الأرياف لقضاء حوائجهم بالمدينة⁴، وهي مبان كبيرة ذات طابق أو طابقين تضم محلات يستغلها التجار والحرفيون، وغرفا يأوي إليها العزاب والمسافرون وكان في بعضها اصطبلات يمكن للتجار الذين يرتادون المدينة بالماشية والدواب أن ينزلوا فيها. ويدل العدد الكبير للفنادق بالمدينة، على حجم التبادل التجاري الكبير وسعة النشاط التجاري لأسواقها التي كانت مقصداً للتجار من جميع مراكز التبادل التجاري في داخل البلاد وخارجها، وكانت الفنادق الرئيسية تقع بالأحياء التجارية القريبة من المركز الحضري. أما

¹ ينظر الملحق رقم 10، 11.

² محمد الطيب عقاب: مدخل إلى العمارة الجزائرية قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2009م، ص ص 41-42.

³ - المرجع نفسه: ص 34.

⁴ - عبد الفتاح بن جدو: "مظاهر العمران بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة البحوث التاريخية، م 6، ع 2، ديسمبر 2022، ص 457.

الفنادق الثانوية فنجدها بالأحياء الشعبية، وبالقرب من الأبواب 19 الإستراتيجية المتصلة بالطرق التجارية، أبرزها فندق العزارة، وفندق الزيت، فندق الهوة¹.

أما الحمامات فقد انتشرت بالجزائر خلال العهد العثماني، إذ بلغ عددها حوالي 12 حماما عاديا و 62 حماما بخاريا مبنية كلها بطريقة موحدة تقريبا، وهنا يتكلم هايدو عن أفخم تلك الحمامات وهو حمام حسن باشا بن خير الدين الذي كان يقع وسط المدينة، ويقول أنه مشكل من أقبية متينة مكسوة ومبلطة كليا بالرخام، يضم قاعتين مربعتين فسيحتين، الأولى مخصصة لخلع الملابس أما الثانية فهي مقسمة إلى عدة غرف يمكن أن تضم الواحدة منها من 10 إلى 12 شخص بكل منها حنفيتان، واحدة للماء الساخن وأخرى للماء البارد يصلهما الماء عبر أنبوبين من البرونز يدوران عبر كل الغرف².

3. المقاهي والأسواق والعيون:

"ويقع أجمل مقهى ..في شارع البحرية ، وبه قاعة مقسمة الى مقصورات ، تستند على أعمدة ، وتتسع لعدد كبير من الزوار،..ان مقاهي اليوم مظلمة مستطيلة الشكل.. وبها صفين من المقاعد الحجرية، تغطيها حصائر من سعف النخيل،.. ويقع المطبخ في منخفض بمؤخرة القبو.. ، وتقدم القهوة في فناجين مصنوعة من الخزف فوق صحون من الصفيح ، ويوضع فيها مسحوق السكر ،.. ويقدم للمرء معها غليون أحمر ذو قسبة طويلة والطباخ من السود عادة. أما الندل فهم من أبناء الحضر"³.

تركزت بالمركز الحضري لمدينة الجزائر أسواق تختص بالمواد المتشابهة، يتعدى عددها أربعين محلا أو حانوتا، وتنظم عادة على طول جانبي الطريق الواحد، ووصف موريتس فاغنر أسواق مدينة الجزائر، قائلا أنها لا تتأثر الأسواق الضخمة التي اشتهرت بها بغداد أو طهران أو أزمير أو القسطنطينية، فهي بكل بساطة عبارة عن دور تشبه الدور العربية مع فارق واحد وهو أن جانبي الفناء يحتويان على حجرات، الواحدة منها منفصلة عن الأخرى ولكل سوق طابقان أو ثلاثة طوابق. وغرف كثيرة ويمكن أن نعد أسواق مدينة الجزائر سوق

¹ -بلبروات بن عتو: "الهياكل القاعدية لتجارة مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، م3،

ع 5، جوان 2017م، ص 198.

² - عبد الفتاح بن جدو: المرجع السابق، ص 457.

³ - أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص ص 64-65.

الشماعين، سوق الجمعة لبيع الحمام، سوق الفكاهين، سوق السمانين ويباع فيه أيضا الفاكهة.¹

أما العيون وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأندلسيين أدوا دورا لا يستهان به في تزويد مدينة الجزائر بتجهيز مائي محكم ؛ فقد كان من بينهم المهندسين وأصحاب الدراية والخبرة فيما يتعلق باستغلال الموارد المائية، والذين وضعوا خبرتهم ومهارتهم في خدمة الصالح العام لمجتمع مدينة الجزائر،² في 1611 قام أحد الأندلسيين باكتشاف للماء بالقرب من حصن الإمبراطور على بعد 2 كلم من المدينة واقترح مشروعا لنقل مائه إلى المدينة ، وبالفعل تم تجسيد ذلك المشروع بقناة كبيرة وعدة قنوات صغيرة تصب كلها في خزان قرب الميناء تتزود منه السفن بالماء كما كانت هذه القنوات تزود حوالي 150 عين عمومية منتشرة داخل المدينة أو خارجها بالقرب من الأسوار مبنية بطريقة جميلة وموحدة تقريبا، بها أنبوب نحاسي يصب منه الماء في حوض من الحجر أو الرخام، ونقشت على أغلبها كتابات تأسيسية وأدعية للعين أو لبانيها وللشارب منها أحيانا، كما توفرت أغلب المنازل على خزانات وصهاريج تزودها الآبار التي حفرت داخل هاته المنازل أو يتجمع فيها ماء المطر المنحدر من السطح.³

وهنا تستنتج نادية مباركي أمران هاما وهما: أولا مساهمة الأندلسيين في تزويد مدينة الجزائر بالماء كما سبق وأن أشرنا إليه، ثانيا عناية السلطة خلال العهد العثماني بهذه القضية الهامة وهذا لاحظته من خلال تشجيع المبادرات الهادفة إلى تزويد مدينة الجزائر وسكانها بكفايتهم من الماء، ومن ثم الحرص على الصالح العام.⁴

¹ -بلبرات بن عتو: المرجع السابق، ص 198.

² -نادية مباركي: "إطلالة تاريخية على التجهيز المائي بمدينة الجزائر ومرافقا المائية خلال العهد العثماني"، مجلة دراسات تراثية، م7، ع 1، 2017م، ص 144.

³ -عبد الفتاح بن جدو: المرجع السابق، ص 456.

⁴ -نادية مباركي: المرجع السابق، ص ص 150-151.

4. العمران الديني:

المساجد:

من أهم المساجد التي يجب ذكرها كعينة هو جامع كتشاوة¹، ويظهر عليه التأثير العثماني بشكل كبير من خلال قبته الواسعة، التي تحيط بها قببات أخرى صغيرة، وكذلك من خلال المآذن الطويلة المثلثة الأوجه والفضاء الداخلي الواسع مع التقليل من الدعامات حتى الباب القديم لهذا الجامع².

بالإضافة إلى ذلك نذكر الجامع الجديد³ الذي بني على أنقاض مدرسة قديمة تدعى البوعنانية، وقد بني على يد جماعة من الانكشارية وعلى نفقة جمعية سبل الخيرات، وكان يتبع المذهب الحنفي وتعلو محرابه كتابة تأسيسية تشير إلى تاريخ 1070هـ / 1660م، من هذا الجامع يلفت انتباه القادم إلى مدينة الجزائر من جهة البحر ، حيث يشرف على الميناء بمئذنته العالية وقبته الضخمة الجميلة، يظهر المسجد بشكل مستطيل يتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، سطح المسجد مؤلف من قوين متقاطعين، أستقدم شكل جديد للمنابر مع دخول العثمانيين شبيه من ناحية الشكل والتركيب بالمنابر الخشبية المحلية ولكنه مختلف عنها في مادته المتمثلة في الرخام، وفي كونه ثابت غير متحرك يقع يمين المحراب والذي نجد له العديد من العينات المشابهة، العديد من المدن التركية وبنفس مادة الصناعة أما المآذن المحلية، فقد تميزت بشكلها المربع بحجم مشابه لأبراج الساعة الأوروبية تقريبا على عكس المآذن العثمانية المتميزة بشكلها الدائري أو المثلث.

يتمثل التأثير العثماني هنا في دخول المآذن العثمانية بالموازاة مع المآذن الجزائرية رباعية الزوايا كجامع السفير الذي بني سنة 1534م هـ، بمآذن مثلثة الأضلاع ذات التأثير العثماني، والتي بدأت تحل تدريجيا محل المآذن الرباعية الأضلاع. تأثرت المساجد الجزائرية بشكل كبير بالعمارة الدينية العثمانية، التي اتخذت عنصر القبة المركزية كوسيلة لتغطية أكبر فراغ ممكن من سقفها، مع قباب ثانوية أقل حجما منها، وخصوصا بالمساجد الكبرى

¹ - ينظر الملحق ، رقم 12.

² - سامية بن قويدر: "مظاهر التأثير الحضاري العثماني على عمارة مدينة الجزائر"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، م

14، ع 2022، 5، ص 75

³ - ينظر الملحق رقم 13.

بالمدينة، التي تميزت بأسلوبها العثماني ذو القبة المركزية الكبيرة، التي تحيط بها قباب أخرى أصغر منها، بخصائص شبيهة بالمساجد الاسطنبولية". ومن أبرز الأمثلة كذلك على التأثير العثماني بالنسبة للمساجد فيما يخص القباب نذكر مسجد بتشين، الذي بني سنة 1622م من طرف الرئيس علي بتشين، المتميز بقبته المركزية الواسعة المحاطة بقبيبات أصغر منها¹.

5. الفن المعماري العسكري:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني انتشار البنايات العسكرية العسكرية نظرا للمحاولات المتكررة من القوات الصليبية احتلال البلاد.

أ- القلاع والحصون والأبراج:

القلعة المشور بتلمسان: تقع هذه القلعة المشور في الجهة الجنوبية للمدينة وهي على شكل مستطيل ومحصنة بأبراج مربعة أخرى دائرية، أما أسوارها فتتوجها شرفات تحصر فيما بينها فتحات المدافع والبنادق، ويتراوح سمكها ما بين خمسة أو ستة أمتار وطولها ما بين عشرين وثلاثين مترا، أما الخندق فيقتصر على الجهة الشرقية فقط. وللقلعة بابان مقبلان الأول قرب الزاوية الجنوبية الشرقية ويعرف بسباب الترويسة، والثاني في الجهة الغربية ويعرف بباب الحديد².

قلعة القصبة بوهران: تقع على الضفة الغربية لواد الرحي رأس العين على سفح جبل المائدة (مراجو). ولا يعرف تاريخ تأسيسها بالضبط وهي على شكل مثلث مستطيل يمتد من الجنوب إلى الشرق على الضفة الغربية لواد الرحي، وتعتبر مركز السلطة للحاكم ولأمراء منذ تأسيسها، وتتألف من قسمين: قسم علوي على سفح الجبل يمثل مقر الحكام، وقسم سفلي إلى شرق القسم العلوي يحتوي على ثكنة للجيش، ومخازن الأسلحة، وعدة أبنية لإدارة الجيوش والبحرية، ومجالس الحرب، وحول جزء منه إلى سكن نساء الدايات في عهد الأتراك، وكان بجانب هذه القصبة بعض المساجد أزيلت في عهد الإسبان وتتصل بباقي أجزاء المدينة بواسطة بابين، وقد تعرضت القصبة مرارا إلى التهديم والتخريب، فهدم

¹ - سامية بن قويدر: المرجع السابق، ص ص 74-75.

² - لخضر درياس: المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1990/1989م، ص 115.

الكاردينال كزيمينيس جزءا منها عام 1509م، ثم جدد الأسبان بناءها عام 1589، وأحاطوها بسور خلال أعوام 1665م 1682م، وأحدثوا بها بعض الحصون والمنشآت للحماية والدفاع وعندما فتح بوشلاغم وهران عام 1708م اتخذ القسبة مقرا لسكناء وحكمه مدة ربع قرن ووجد ما أمكن تجديده من، عمرانها، وبنى مخزنا وحمامين ما يزالان حتى اليوم في أسفل مسجد محمد بن عثمان الكبير، بيد مصلحة القطاع الصحي.

وعندما حدث زلزال عام 1790م تهدم وتخرّب جزء منها، ولكن محمد الكبير، استقر بها وأصلح الكثير من خرائبها.¹

أما الحصون فنذكر منها حصن باب الجزيرة: وكان يسمى أيضا: حصن الأندلس وطبانة.² الجمرك ويسمى حاليا: حصن 23 أو قصر رؤساء البحر، أنشئ هذا الحصن من طرف القائد التركي صفر بن عبد الله عام 1551 وقد كان الأجمل بالمدينة أبعاده 40×30م، كان يضم 23 قطعة مدفعية من البرونز هي الأجود في المدينة، أحدها بسبع فوهات جلب من فاس عام 1576، لكنه نقل إلى باريس بعد احتلال القوات الفرنسية 1830.³

ب- الأبراج: برج تيريز أسسه الكونت الكوديت عامي 1557 - 1558م شمال شرق البرج الأحمر، على ساحل البحر ليحمي شاطئ خنق النطاح، ، ووجد تحصينه فاليجو عامي 1737 - 1738، ووضع به 12 مدفعا للدفاع وأسس بجواره مركزين صغيرين للحراسة مدفعا للدفاع، وأسس بجواره مركزين صغيرين للحراسة أحاطهما بأسوار عامي 1740-1741م، وبعد تحرير وهران عام 1792 اتخذ عثمان بن محمد الكبير مركزا لجمع ثروته.⁴

برج المنارة: وهو الأكبر والأهم وكان يعرف عند العامة ببرج الفنار، بني من طرف الباشا أحمد أعراب سنة 1572 على قاعدة شبه دائرية يبلغ قطرها 96م، وكان يتكون من أربعة طوابق، بالطابقين الثالث والرابع والسطح فتحات للمدفعية، مسقط البرج مضلع به 12 ضلعا

¹ - بوعزيز يحي : مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص ص 85-86.

² -طبانة: اشتهر استخدام هذا اللفظ عند العامة بالجزائر للتعبير عن الأبراج والقلاع التي تضم سلاح المدفعية، وهو مشتق في الأصل من الكلمة التركية طوب خانة وتعني برج مدفعية. ينظر عبد الفتاح بن جدو: المرجع السابق، ص 450.

³ -بوعزيز يحي :المرجع السابق، ص86.

⁴ - المرجع نفسه، ص 88-89.

طول كل ضلع سبعة أمتار في السطح وأكثر من ثمانية أمتار على الأرض، وينتهي البرج بمنارة مضلعة ارتفاعها عن السطح الأخير 14¹م ليصبح ارتفاع البرج الإجمالي 36.8م. كما ذكر محمد بن يوسف الزياني أبراجاً أخرى مثل: برج مرجاجو وبرج رأس العين الكبير والصغير وبرج الويز وبرج فراندو وبرج كارلوص².

6. الأبواب والأسوار:

كان بالجزائر الكثير من الأبواب نذكر منها: باب عزون وهي من أهم أبواب المدينة يوجد في السورين الداخلي والخارجي بطارية من خمسة مدافع، كان يدخل منها أي هذه الباب القادمون من الجنوب والشرق ومن السهل المتيجي كما تربط المدينة بشرق البلاد وكان لباب عزون جسر يرفع الخطر، ويربط باب عزون المدينة والريف، فهو ممر مهم للتجار ومنها يخرج كل الناس الذين يتجهون إلى الريف، وإلى كل قرى وبابلكات، الجزائر، ومنها تدخل كل البضائع والسلع من مختلف الجهات، الجزائرية لذا كانت هذه البوابة تعج بحركة الناس يومياً، ولمدخل عزون بابين للدخول المباشر، يقعان في السورين الداخلي والخارجي ويتباعدان عن بعضهما البعض بمسافة 32 متراً وباب عزون به ستة معاقيف حديدية مسخرة للإعدام 35 مثبتة في السور، يُلقى عليها من صدر بحقه الإعدام.

باب الواد³ شُيِّد خلال القرن 16م، وكان عليها حصن ضعيف بدون تراب مركوم وبدون أي نوع من الأسلحة، وفتحت به ست فتحات للمدفعية، وكانت تقع باب الواد في شمال المدينة وتفتح نحو الشمال أو نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة وتسميته بباب الواد نسبة إلى الواد الذي يمر بجانب الباب، وهو واد قريش أو واد المغاسل وهي أقل الأبواب

¹ - عبد الفتاح بن جدو: المرجع سابق، ص 444.

² - محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران، تح المهدي بوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 265.

³ - ينظر الملحق 14.

أهمية تنتهي إلى جسر بالإمكان رفعه وقت الخطر مثل باب عزون¹، كما توجد بمدينة الجزائر أبواب أخرى كباب الجديد وباب الجزيرة وباب البحر.²

ويضاف إلى هذه الأبواب باب آخر هو باب القصبة العليا (دار السلطان)، ويعتبر حاجزا قويا بين القصبة وبين المدينة، حتى لا يجد الجنود منفذا سهلا للدخول إلى المدينة. ولم يكتف حكام الأتراك بهذه الأسوار وهذه الأبواب، بل عمدوا إلى حفر الخنادق العميقة المملوءة بالماء خلف الأسوار، منعا من وصول المهاجمين إلى داخل المدينة.³

وقد تدعم سور المدينة بمجموعة من الأبراج المربعة موزعة بانتظام، ومن جهة البر وزيادة في الأمن فقد سبق على كامل محيطه بخندق عرضه عشرون قدما وعمقه سبعة أقدام، ويتكلم دوفو عن سور آخر أقل ارتفاعا من الأول يلي الخندق، ويبدو أنه انفرد بهذا الوصف، فلا يوجد من تحدث عن سور ثان ممن وصفوا المدينة ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الأسوار لم تبني في وقت واحد، بل إنها خلاصة أعمال متراكمة. وتجديدات وترميمات متتابعة من طرف عدة باشاوات تداولوا على حكم الجزائر خلال العهد العثماني.⁴

تحتوي أسوار المدينة على جدار قديم، يرتفع بعلو يتراوح بين 11 و 13م، زين على طول امتداده بفتحات للمدفعية يبلغ مجموعها 214 فتحة توجت ببروج مربعة الشكل بعضها بدون 13 بروز. كما كانت هذه الفتحات وخاصة المشرفة على البحر مخصصة لتلق منها طلقات 14 المدافع، وعند وصف الأسير "هايدو" هذه الأسوار بقوله.... نستطيع أن نقارن أسوار هذه المدينة (الجزائر) بقوس ذات وتر، تمتد واجهتها البحرية بين الشرق والغرب.⁵

7. الثكنات والمعتقلات:

وجدت بالمدينة سبع ثكنات للانكشارية خمس منها كبيرة الحجم تستوعب حوالي ستمائة جندي، واثنان صغيرتان لا تستوعب الواحدة منهما أكثر من ثلاثمائة جندي وكانت

¹ - رفيق تلي: "أسوار وأبواب مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، م 15، ع 2، ديسمبر 2021م، ص ص 27-28.

³ - محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص 26.

⁴ - عبد الفتاح بن جدو: المرجع السابق، ص 447.

⁵ - رفيق تلي: المرجع السابق، ص 23.

تسمى كل منها دار الانكشارية وأسمائها: دار الانكشارية باب عزون الخراطين، المقرون القديمة، الجديدة، الدروج وأخيرا دار الانكشارية الأسطة موسى أو باب الدزيرة. هذه الثكنات كانت عبارة عن بنايات مربعة أو مستطيلة المسقط تتوسطها أفنية فسيحة تحيط بها أروقة تتوزع فيها غرف إيواء الانكشارية، وكانت بكل منها عيون وصهاريج تتوسط الأفنية. أما عن السجون أو المعتقلات فعددها خمسة وقد كانت مخصصة للعبيد والأسرى النصارى يتكلم هايدو عن أحدها ويقول أنه المسقط مؤلف من طابقين أبعاده 70×40 قدم يتوسطه فناء بمركزه صهريج ماء، وبأحد جوانبه في الأسفل يوجد مكان عبادة للنصارى يقيمون فيه صلواتهم وشعائهم.¹

ومما سبق يتبين أن العمارة العسكرية كانت قوية ومتينة، محصنة بالأبراج والقلاع والحصون والأبواب وكان لهذه دور كبير في حماية امن البلاد واستقرارها.

المطلب الثاني: الفن الموسيقي:

عرف الإنسان منذ الأزل باهتمامه بالموسيقى والغناء وسعى إلى اختراع عديد الآلات من أجل أن يكون الغناء جميلا ومؤثرا، وكانت الموسيقى تعبر عن المشاعر والأحاسيس، وفي الفترة العثمانية تأثرت الموسيقى الجزائرية بالموسيقى الأندلسية والعثمانية.

1. تأثير الأندلسيين على الفن الموسيقي:

أما في مجال الموسيقى والغناء فقد طبع الأندلسيون الحياة الفنية بمقاطعة الجزائر دار السلطان" بطابع خاص مميز، فقد شاع نظم الموشحات وتلحين الأغاني التي حافظت على بنائها اللغوي وطريقة إنشادها حسب تقاليد الأندلسية والتي تعود بدايتها إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري وقبل أن تكتمل نماذجها في فترة لاحقة على يد أقطاب الموشحات مثل بن زهر ولسان الدين ابن الخطيب وابن زمرك وغيرهم.²

ولقد اعتزى الموشحات الأندلسية بموطنها الجديد بمقاطعة الجزائر ضعف البناء اللغوي وتراجع في المستوى الشعري فغلبت على مقاطعها الدارجة أو العامية ودخلتها تعبيرات لغة الفرنكا ذات الأصول الإسبانية، إلا أنها مع ذلك ظلت وفية لتقاليد المورسكيين معبرة بصدق

¹-عبد الفتاح بن جدو: المرجع السابق، ص ص 452-453.

²-ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية في مظاهر..، المرجع السابق، ص 57.

عن أحاسيسهم وشعورهم وحنينهم إلى وطنهم الأصلي حتى إنها أصبحت بتوارثها وانتقالها جيلاً عن جيل أقرب إلى تلاوة التراتيل أكثر منها إلى تلحين وإنشاد القصائد، فهي مع غموض لغتها إلا أنها ظلت تحترم في أغلبها البناء التقليدي الذي كان يتألف خاصة من أغصان فتستهل بمطالع قد تصبح ألقاً إذا ترددت في الغناء، وقد يشتمل الدور فيها على ثلاثة أو خمسة أجزاء بين عدة أقفال قبل أن تنتهي بخرجة تعزف بالحن خفيفة وبطريقة مميزة، وهي ببناؤها هذا قد تتعرض لمواضيع الغزل وقد تتناول وصف الطبيعة وهي بذلك تعكس بحق النموذج الأندلسي المغربي المتوارث والذي حافظت عليه الأجواق المحلية بالجزائر والبلدية وشرشال حتى الآن.¹

غلب على المرشحات قصائد المدح المولوديات والتي مالت إلى السجع والمحسنات البديعية، واختصت بذكر صفات ومآثر الرسول الله، وقد اشتهر في ذلك العباس احمد بن عمار الجزائري الأندلسي الأصل مفتي المالكية (1766م) وصاحب قلائد العصر وكحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، هذه الموشحات التي كانت تتشد على الآلات الموسيقية في المواسم الدينية وفي الحفلات والسهرات المنزلية حيث كانت تجتمع الأسر الأندلسية على ضوء الشموع للتسلي والترويح عن النفس بالإنصات إلى نشاد المدائح وترديد القصائد الدينية والأغاني التقليدية المتوارثة، هذا ولقد مهر سكان دلس وشرشال وبعض الأسر من الجزائر والبلدية والقلية بالعزف على مختلف الآلات الموسيقية الوترية منها كالعود (الكويترا) والرباب والقانون والكامنجا، أو الصوتية كالقصة والزربة والغيطة، أو الإيقاعية كالطبل والصنوج.²

2. تأثير العثمانيين على الموسيقى الجزائرية:

لقد كانت الموسيقى الجزائرية عسكرية بالطبيعة في الدرجة الأولى، وهي لذلك تعكس أصولها العثمانية. وتتكون فرقة الأوجاق العسكرية من سبع وعشرين قطعة، ثمانية من بينها طنابير عريضة تدعى الداوول يضرب عليها بالأصابع وهناك خمس آلات نحاسية عريضة تدعى النكاريات وهناك عشر مزامير مرصعة وبوقان، وهناك زوجان من اللوحات الكفية أما الطراز الموسيقي فكان من نوع المختار وهو طراز شديد الحدة النغمية قد أصبح شعبياً في

¹ -ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية في مظاهر...، المرجع السابق، ص 57.

² - المرجع نفسه، ص ص 57-59.

الإمبراطورية العثمانية من طرف الجند الإنكشاريين وكان معبراً عن تضخم وقوة العثمانيين والنوع الشعبي الآخر من الموسيقى كان الأندلسي، وقد جاء به المهاجرون الأندلسيون من إسبانيا ثم امتزج من حيث استعمال الآلات الشرقية في عزفه مثل العود والطار والرباب (وهو عبارة عن كمان ذي حبلين اثنتين)، والناي (من اليراع وقد ظهرت في تركيبات مواويل الدراويش الأناضوليين على مستوى الأصوات النصف نغمية¹).

3. الموسيقى الجزائرية:

لا تخلو المقاهي الكبيرة من الموسيقى في أي يوم من أيام الأسبوع. ومكان الجوقة في العادة قرب المطبخ، مما يجعل أعضائها ينظرون إلى القدور التي يتصاعد منها البخار ويستمدون منه الحماس. وتتكون الآلات التي يستعملها الفنانون الجزائريون من الرباب والنايات والقيثارات المختلفة والطر، غير أن الأخير يستعمل في الحفلات التي تقام في الهواء الطلق أكثر مما يستعمل في المقاهي. وتخلو هذه كذلك من الطنبور الموسيقي الصاخبة الخاصة بالأعراس وحفلات شهر رمضان. فرواد المقاهي يفضلون الاستماع إلى الموسيقى الرتيبة الهادئة التي تدغدغ حواسهم، وتتاسب الأحلام التي يستسلمون إليها في لذة، وينفرون من الأنغام القوية التي تذكرهم بققعات السلاح وببطولات الأجداد ويقع أكثر المقاهي العربية ارتيادا في شارع الديوان قرب الكنيسة الكاثوليكية، ويتردد عليه كثير من الأوروبيين، فالقهوة فيه ممتازة، والمجلس شيق، والجوقة كبيرة، وقائد الفرقة عربي عجوز وهو عازف بارع على الربابة، يشد الأنظار إليه بغرابة تمثيله الصامت، واهتزازات رأسه وحركاته الرزينة الرتيبة. وكان في الماضي أحد أعضاء الفرقة الخاصة بالداي الأخير ويمارس العزف في الأعراس الجزائرية منذ ستين سنة، ولذلك فهو يتمتع باحترام كبير لدى جميع الأسر الجزائرية، التي تفتح له أبوابها باستمرار فيسمعها أنغامه اللطيفة في كل الظروف والأحوال. فيعزف في حفلات الختان، ويمدهم بالأنغام الراقصة في الأعراس معصرنا من ربابته أنغاما حزينة بهيجة في الوقت نفسه.²

¹ - وليام سبنسر: المرجع السابق، ص 121.

² - أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 65.

كما تحدث مبارك الملي على الفرقة العسكرية التي تدخل على الباى من اجل تسليته بقوله".وعندما يدخل أصحاب الآلة الجزائرية فيجلسون بين يدي الباى ويضر بون الربابة والكامانجة والعيان وعند انتهاء المجلس يحسن إليهم ويذهبون كلهم " ¹.

4.الموسيقى والتصوف:

ورغم اختلاف وجهة نظر العلماء والفقهاء حول الموسيقى والغناء، فإنّ المجتمع كان لا يستغني عنهما، وهناك ثلاث مناسبات تشيع فيها الموسيقى والغناء والرقص المناسبات الاجتماعية كحفلات الزواج ولقاء السيدات، وقد أجمعت معظم الدراسات على إعتبار الموسيقى فنا لتأثيرها على المشاعر الإنسانية، وقد عرفنا ابن خلدون بقوله "هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع كل صوت منها عند قطعه فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة، فيلذ سماعها لأجل ذلك التناصب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات وذلك أنه تبين في علم الموسيقى .

اختلفت آراء العلماء والمتصوّفة في حكم الغناء والرقص، فقد جاء في المعيار لأحمد الونشريسي أن أحد العلماء طلب منه فتوى بعد أن ثبت أن جماعة من أهل الخير والصالح قد اجتمعوا في مجلس أنشد فيه، فرقص العلماء. بعضهم، والبعض الآخر أخذ . يصيح ويبكي. فهل هذا مكروه لهم؟ فأجاب العالم أن الرقص بدعة لا يتعاطاه إلا ناقص العقل وهولا يصلح إلا للنساء، وهو مكروه بإجماع أضاف الونشريسي بأنّ الغناء مكروه إن لم توجد به آلة ،طرب، أما إذا أقيم بآلات إيقاعية أو وترية فممنوع منعا باتا. وقد استثنى العلماء الغناء العفيف الذي أجازه الرسول صلى الله عليه وسلم،وفي القرن الحادي عشر (17م) استنكر بعض علماء الايالة من بينهم عبد الكريم الفكون، لجوء بعض أهل التصوف إلى استعمال الموسيقى في الحضرة باستعمال الآلات ويرافقها في ذلك الرقص والشطح. وقد أورد الفكون ما وقع في المأدبة التي أقامها الشيخ الساسي البوني حين ورد عليه أحد متصوفة

¹-مبارك الملي: محمد عثمان باشا دائي الجزائر 1766 - 771 م سيرته،مُروبة،أَمّالُه،نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1986م، ص 113.

المغرب قائلا: " خرج جميع أهل البلدة وتراكمت السطوح واختلط النساء بالرجال، والرجل المغربي يزجل بأرجاله، والكل يصفق ويشطح

فالفكون كان ضدّ هذه الأعمال، غير أنّ الورتيلاني أجاز استعمال الموسيقى لأهل التصوف فقط ومنعها عن غيرهم، لأنها تؤدي إلى الفساد والفجور، وهي دواء للمرضى من أهل الوله (أي أصحاب الحضرة الصوفية). في الحمام والختان، والمناسبات الدينية كالمولد النبوي وتجمع ركب الحج، وليلة القدر والمناسبات الرسمية كتولي الباشا الجديد، وحفلة الدنوش، والاحتفال بالانتصار على الأعداء، فلم تخل المأدبة من المرح والإرتياح سواء كانت تقام في الليل أو في النهار، فقد كانت مصحوبة بالموسيقى، ولكل مأدبة نوبة تناسب ساعتها ومحل إقامتها، وسواء أكان الوقت يوحى بالشجون أو بالسرور أو الحزن فإنّ الموسيقى تعزف حسب ما يلائم الظروف، أو تطرب حسب: قصائد تناسب القلوب والأذهان.¹

وهذا بيتيس دي لأكروا يكتب " المرابطون يديرون الكتاتيب ويقرؤون وهم يغنون "، إذا حفظ عن ظهر قلب القرآن فإنهم يتجولون به وسط أنغام الموسيقى وهو يرتدي اللباس الفاخر والمصحف على رأسه ويمشي وراءه جميع التلاميذ.²

خلاصة الفصل:

مما سبق يمكن القول أنّ المراكز التعليمية في الجزائر كانت منتشرة جدا في الحواضر من مدارس ومساجد وزوايا وكتاتيب، وكان لها دور في نشر العلم والمعرفة، خاصة العلوم الشرعية.

أما التعليم فقد اقتصر على العلوم النقلية من فقه ومنطق وتفسير وعلوم القرآن، ولقد شهد العهد العثماني إهمال العلوم العقلية من منطق وطب وصيدلة وفيزياء، فقد لوحظ عدم إقبال العلماء على هذه الأخيرة لأنهم يرون أن أولويتهم الاهتمام بالعلوم التي تنفعهم بالآخرة وترك العلوم الدنيوية التي يرون بأنها غير مفيدة، كما اعتمد التعليم على وسائل بدائية كاللوح الخشبي والحبر، أما مناهج التعليم فإنها اعتمدت على الحفظ واستظهار المتون نظما وشعرا،

¹ -ذهبية بوشيبة: العلوم العقلية والفنون.. المرجع السابق، ص ص 139-140.

² -مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص ص 31-32.

الشروحات والإملاء والمناقشة، وكان للمؤدب الحق في اختيار المنهاج الذي يرام مناسباً لتلاميذه .

كما عرفت الفترة الجزائر ظهور عائلات علمية مشهورة بالعلم كعائلة ابن النيكرو، عائلة ابن الفكون، المقري وغيرها، برعت في عديد العلوم واحتكرت المناصب الدينية كالإفتاء والإمامة والخطابة، كما ربطتهم علاقة قوية مع السلطة العثمانية.

أما الفن المعماري فلقد اثر الأندلسيون فيه بنقل خبراتهم ومعارفهم وتقنياتهم، وساهموا في بناء العديد من البنايات والقصور والعيون وغيرها، بزخرفات جميلة، كما كان لهم دور كذلك في نقل آلات موسيقية جديدة كالكمنجة، ونشروا الموسيقى الأندلسية التي غلب عليها الموشحات والمولوديات، كما ساهم العثمانيون في الفن المعماري والموسيقي، فلقد بنى العثمانيون الكثير من القصور والمساجد والقلاع، كمسجد كتشاوة الذي ما يزال قائماً لهذا اليوم، وبنى الكثير من القباب، وكانت الموسيقى العثمانية موسيقى عسكرية بحتة.

لقد أثرت الموسيقى الأندلسية على الموسيقى الجزائرية بإدخال آلات جديدة، كما كانت الموسيقى خاصتهم يغلب عليها الحنين للوطن، وكذا سيطرة السجع والمحسنات البديعية على الغناء، أما الموسيقى العثمانية قد كانت عسكرية بحتة يعزف على آلاتها الجند، كما اهتم المتصوفة بالموسيقى وربطوها بالتصوف واختلفوا في تحريمها، فالبعض رأى أنها حلالاً وآخرون أباحوها للمتصوفة دون غيرهم، ومنهم من رفضها رفضاً قاطعاً جملة وتفصيلاً كابن الفكون، رغم كل ذلك يعتبر الكثير من المفكرين الموسيقي فناً ثقافياً راقياً وفريداً يعبر عن الذات البشرية.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد خالصنا بعد دراستنا لهذا الموضوع إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات التي نوردها فيما يلي:

- رغم اختلاف آراء المؤرخين حول التركيبة السكانية للحضر، إلا أن أغلبهم متفق على أن الحضر كانوا يمثلون ما يعرف بالبلدية من السكان الأصليين، والأندلسيين والأشرف، وهذه مسألة نعتقد أنها أساسية، لأنها تؤصل وتحدد الفئات التي يجب على الباحث الإعتناء بها في أي بحث يتناول الحضر بالدراسة.

- كان للحواضر دور كبير في ازدهار التجارة خلال العهد العثماني، حيث كانت مركز نشيطة للتجارة والحرف و الصناعات، مما زاد من ثروة الحضر و نفوذهم، بحيث ازدهرت التجارة وأصبحت المدن مراكز تجارية رئيسة لتبادل السلع بين مختلف المناطق التجارية، كما أصبحت بوابة للتجارة الخارجية مع الدول المجاورة ودول البحر المتوسط.

- نشطت العديد من الصناعات اليدوية كصناعة النسيج والخزف و الحديد، وذلك نتيجة تطور الصناعة بعدما ساهم الحضر في إنشاء المصانع والورش التي تنتج السلع المختلفة ونفس الشيء بالنسبة للزراعة التي عرفت تطورا ملحوظا وصل إلى حد تصدير المنتجات الزراعية إلى دول مجاورة.

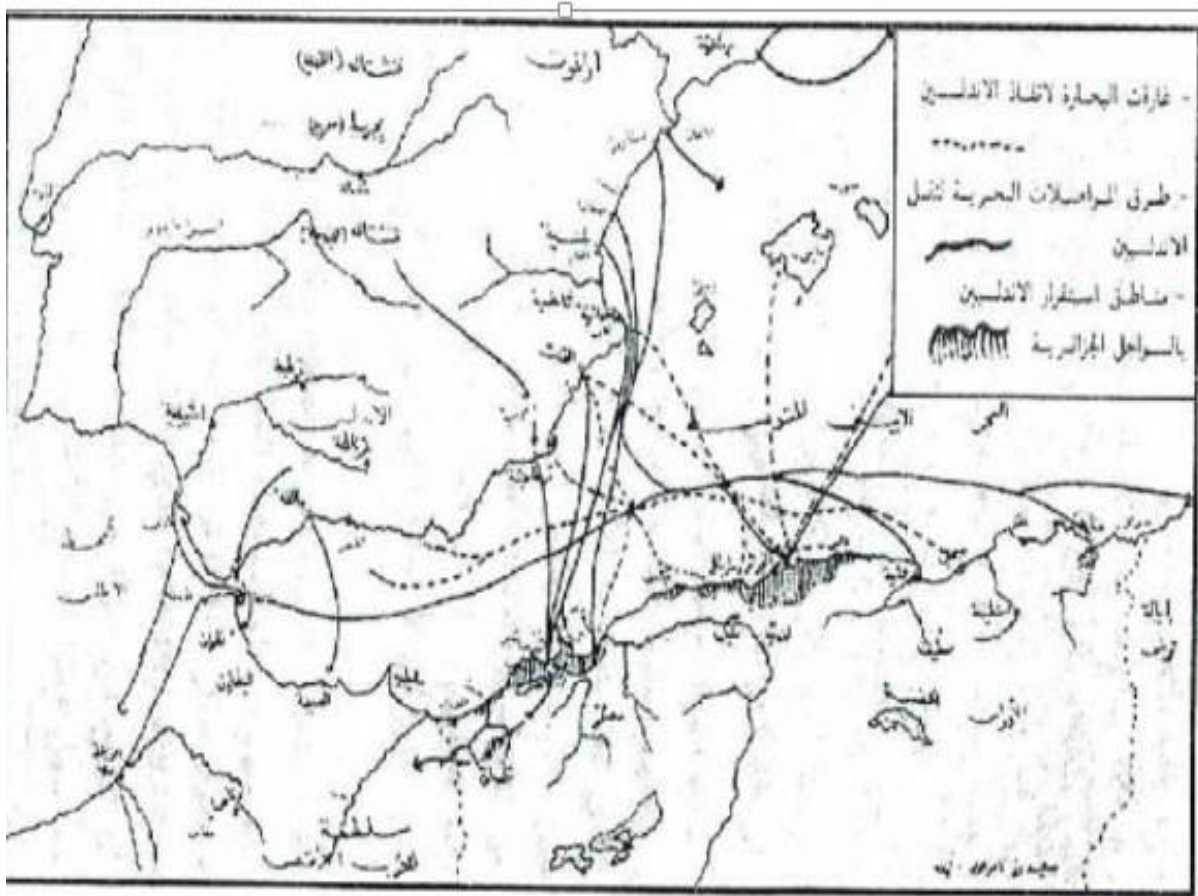
- كانت المدن الحضرية مراكز للعلم والمعرفة بفضل مساجدها ومدارسها وكتاتيبها... وغيرها، كما كانت تجذب العديد من المهاجرين من الريف لطلب العلم. وكانت هذه المدن الحضرية أيضا تضم عددا هائلا من العلماء والفقهاء الذين كانوا ينشرون العلم والثقافة.

- ازدهر العمران في المدن الجزائرية من خلال بناء المنازل والقصور والحمامات والقلاع وغيرها. هذا العمران الذي يعكس تأثر حضر الجزائر بالعثمانيين في ميدان الفن والعمران من حيث استخدام الأساليب والتقنيات العثمانية خاصة في بناء المساجد والمدارس وغيرها مثل استخدام القباب والأقواس والأعمدة مثل جامع كتشاوة، أما التأثير الأندلسي فشمّل

استخدام الزخارف الأندلسية في العديد من البنايات.بينما إعتد الفن المحلي على الحجرة المحلية.

وفي الأخير يمكن القول أن تأثير الحضر انعكس بشكل إيجابي على مختلف مجالات الحياة لاسيما في الجانب الاقتصادي والثقافي في ايلة الجزائر.

الملاحق



خريطة تمثل هجرات الأندلسيين الى الجزائر¹

¹ - ناصر الدين سعيدوني : مظاهر التأثير الأيبيري تأثير ...، المرجع السابق، ص33.

الملحق رقم (02)



لوحة تمثل الطرز بالخياط الحريرية¹

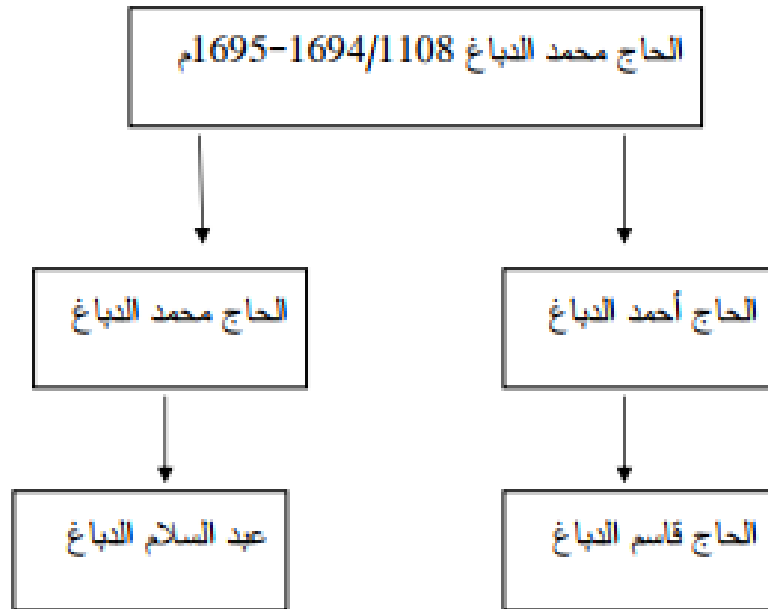
¹ - شريفة طبيان: المرجع السابق، ص 121:

الملحق رقم (03).



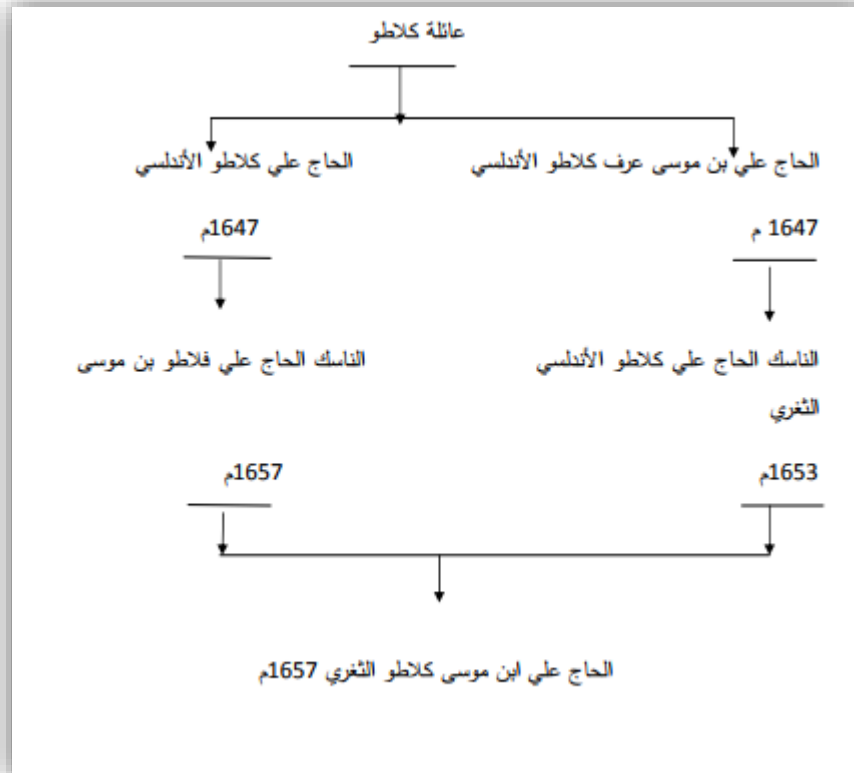
لوحة لطرز باللونين الأحمر و الأزرق¹

¹- طيان شريفة : مرجع سابق، ص122.



مخطط توارث حرفة الدباغة لعائلة ابن حمادوش¹

¹ - عائشة غطاس المرجع السابق، ص 103.



مخطط توارث الحرفة عند عائلة كلاطو¹

¹ عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 103.

ملحق رقم (06):



خريطة توزيع أسواق مدينة الجزائر¹

¹ زاهية بن كردة: المرجع السابق، ص 224.

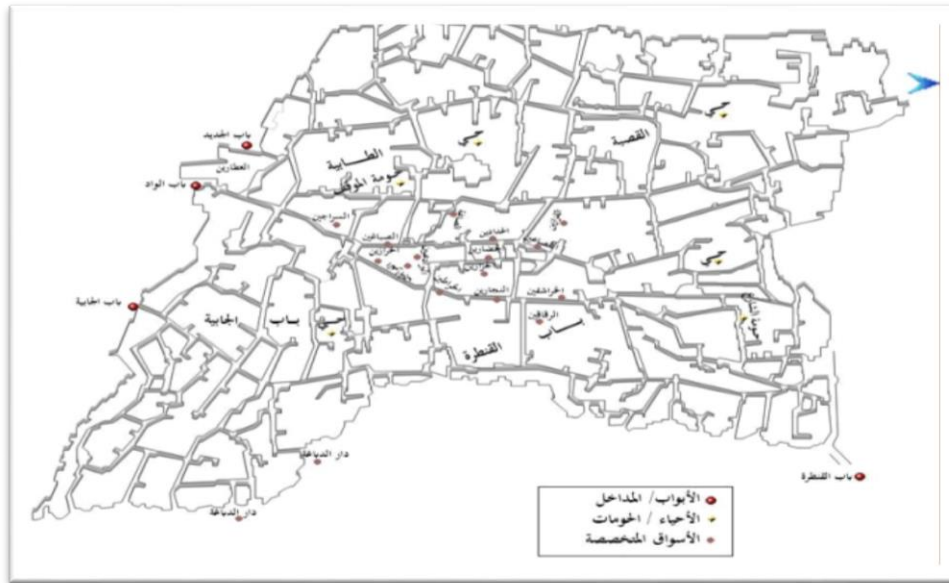
ملحق رقم (07):



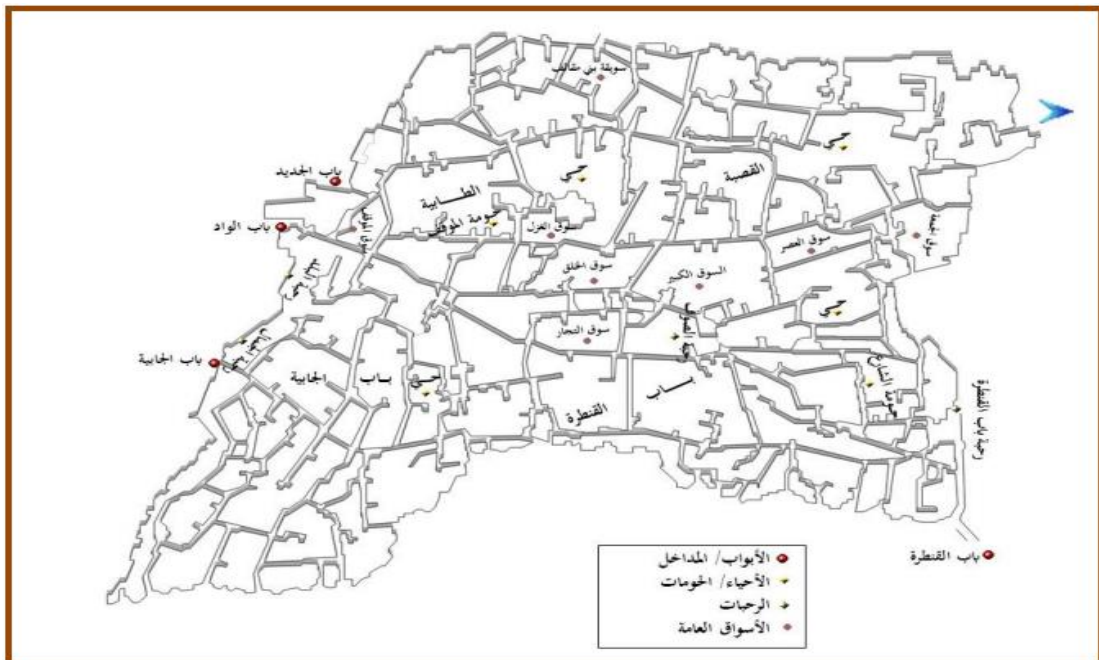
من سويقات مدينة الجزائر¹

¹- زاهية بن كردة: مرجع سابق ص 290..

ملحق رقم (08)



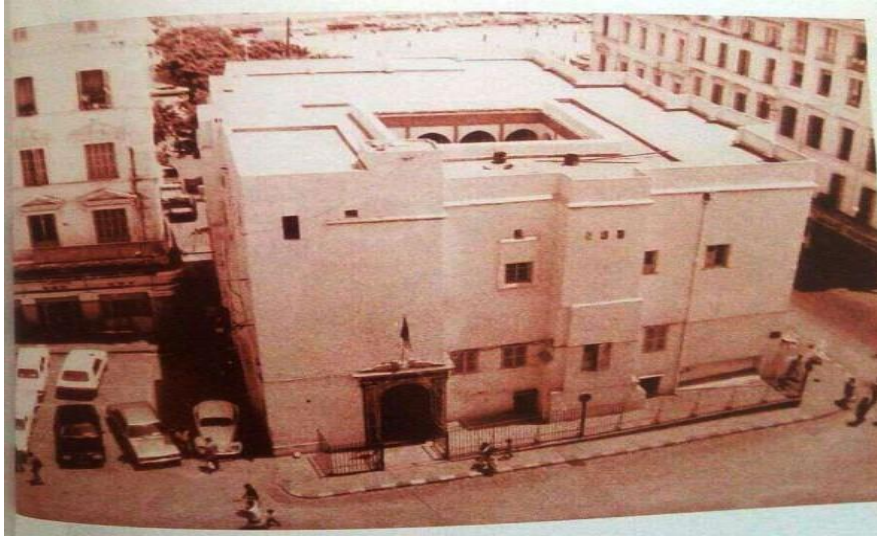
ملحق رقم (09)



توزيع الأسواق العامة في قسنطينة¹

¹ نوازي خولة: المرجع السابق، ص 48.

الملحق رقم (10).



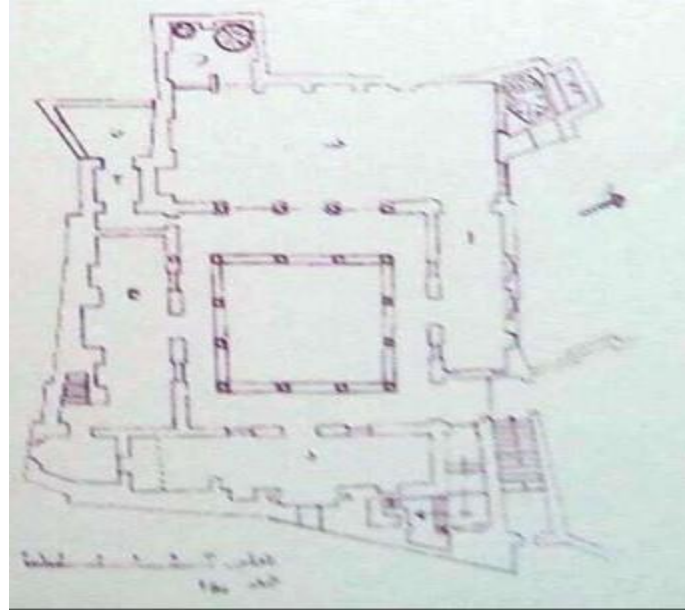
صورة لواجهة قصر عزيزة.



صورة لقصر عزيزة من الداخل.¹

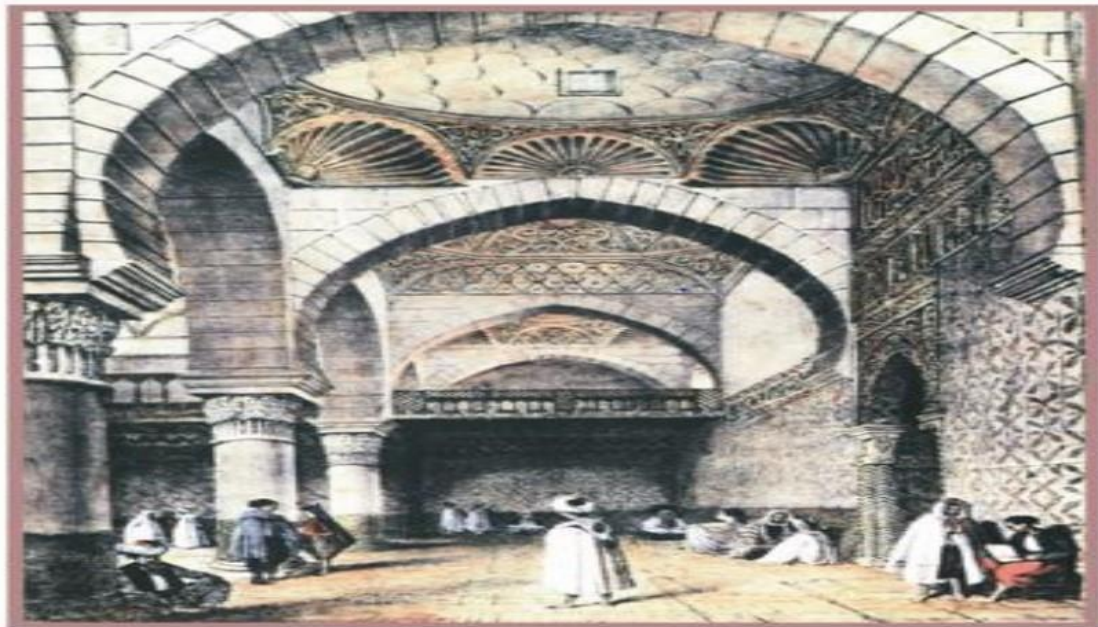
¹ محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص 48.

الملحق رقم (11).



صورة لمخطط قصر خداج العمياء.¹

الملحق رقم (12).

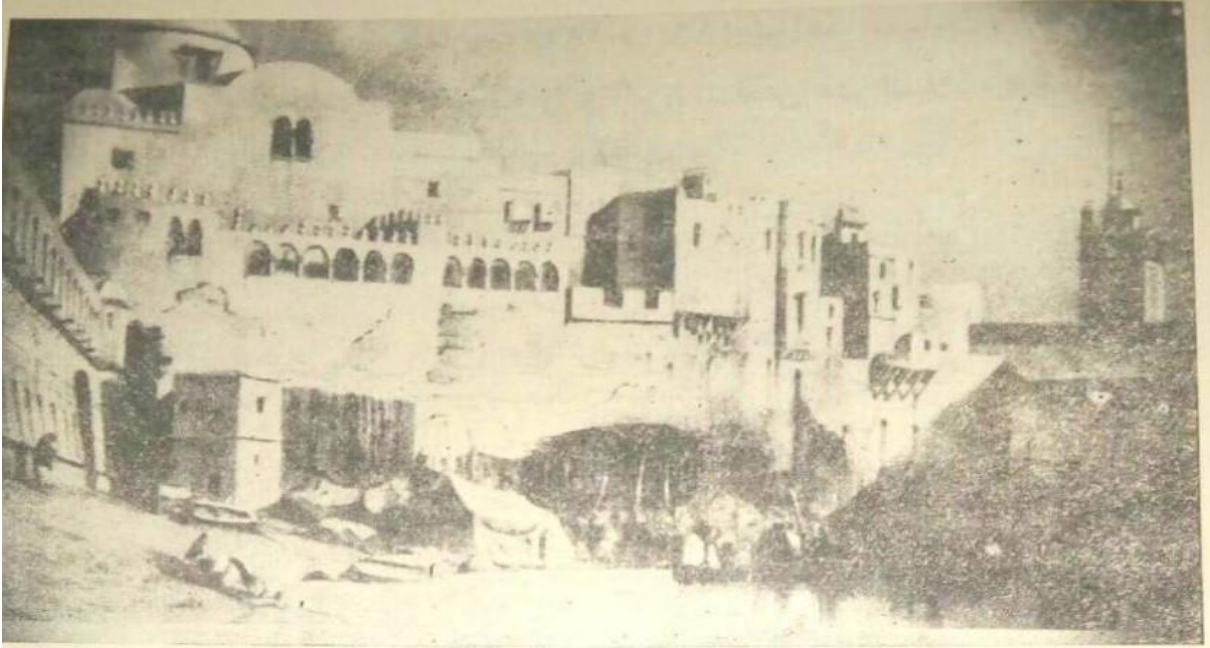


صورة فنية تمثل جامع كتشاوة من الداخل.²

¹ محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص 47.

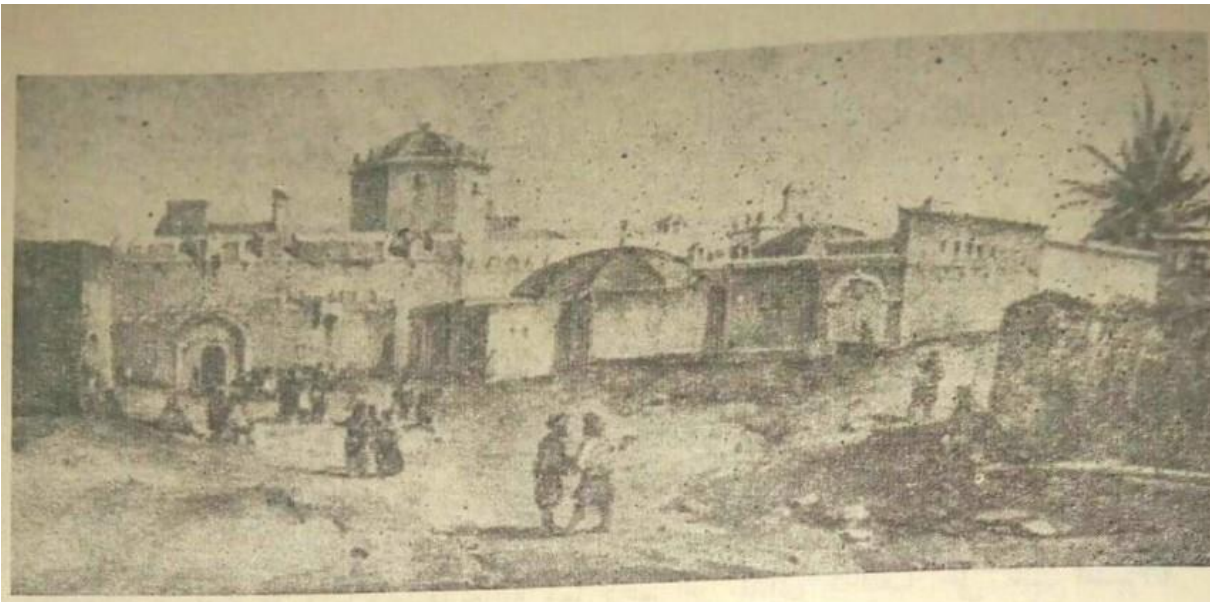
² سامية بن قويدر، مرجع سابق، ص 76.

ملحق رقم (13):



صورة الجامع الجديد.¹

الملحق رقم (14).



صورة باب الوادي.²

¹ علي عبد القادر حليمي ، مرجع سابق، 227.

² المرجع نفسه، ص 233.

قائمة المصادر و المراجع

1- قائمة المصادر:

أ- باللغة العربية:

- القرآن الكريم: سورة الأحزاب ، الآية 22.
- ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري: رحلة عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال تح: أبو القاسم سعد الله، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1983م.
- أبو راس الناصري المعسكري: زهرة الشماريخ في علم التاريخ، تح: بن عمر حمدادو، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، بن س ن.
- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح فارس كعوان، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلة الجزائر، 2009م.
- ابن ميمون، محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1972م.
- خوجة محمد ابن عثمان: المرأة، تح محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث د. م. ن، 2005م.
- الفكون عبد الكريم: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م.
- الزياتي محمد بن يوسف: دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران تح المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

- الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1168-1246هـ / 1754-1830م، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1987م.
- الحسين بن محمد بن الورثيلاني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار ، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية في الجزائر ، 1908م.
- الناصري أبي راس: عجائب لأسفار ولطائف الأخبار، ج2 ، تحقيق بوركة محمد، ط2، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، وهران، 2005م.
- الوزان الحسن بن محمد الفاسي: تر محمد حجي: محمد الأخضر: وصف إفريقيا، ج2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1983م.
- ابن هطال التلمساني أحمد، رحلة، محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح محمد بن عبد الكريم، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت 2004م.
- بفايفر سيمون: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر أبو العيد دودو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م.
- كاتشارث جيمس ليندر : مذكرات أسير الداوي كاتشارث قنصل أمريكا في المغرب، تر إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م.
- كربخال مرمول: إفريقيا، تر محمد حجي: محمد زنيير و آخرون ، ج2، دار المعارف، المغرب، 1984م.
- وليام سبنسر :الجزائر في عهد رياس البحر، تعليق وتقديم عبد القادر زيادية دار القصبة للنشر ،الجزائر ، 2006م .
- وليام شالر: وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر [1816-1824]، تقديم وتعريب وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م.

ب- باللغة الأجنبية:

- ALBERT DEVOULX: Les édifices religieux de l'ancien Alger, BASTIDE, Alger, 1870.
- Diego de Haedo : Topographie histoire générale d'Alger, imprimrie Avallage Olid, 1612.
- Shaw : Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'Anglais par J.Mac.paris, 1830.

2- المراجع:**أ- الكتب:**

- ابن أكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر وأحمد حلمي عبد الرحمان، دار الفكر العربي القاهرة، د س ن.
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1989م.
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998م.
- أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م.
- أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م.
- أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.
- أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة ، مرتع، سهيل الخالدي، ط1، منشورات دار الثقافة، 2005م.

- ايشبودان العربي : مدينة الجزائر تاريخ عاصمة ، تر جناح مسعود ، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م.
- بلحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981م.
- بلغيث محمد الأمين: فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، أنتر سيتي، الجزائر، 2008م.
- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1997م.
- بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م.
- جون ولف الجزائر وأوروبا -1500 1830م، ترأبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
- حنيفي هلايلي : أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي المورسكي، دار الهدى الجزائر، 2010.
- حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى الجزائر 2008م.
- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1927م.
- زغروت فتحي: العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس 198 110هـ منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي، ط1، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع مصر، 2011 م.
- زروال محمد: العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ن ط، الجزائر، 2009م.

- سعيدوني ناصر الدين: دراسات أندلسية في مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط2، دار البصائر، 2013م.
- سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، 2009م.
- سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2012م.
- سعيدوني ناصر الدين ، بو عبدلي المهدي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1984م.
- شعباني عامر: الأنفاس الأخيرة للأندلس الصغيرة دلس، دار الوعي، الجزائر، 2009م.
- صالح عباد: الجزائر في تاريخ الحكم التركي (1514-1830) ، دار هومه 2012م.
- محرز أمين: الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- الملي مبارك بن محمد : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.س. ن.
- الملي مبارك محمد الهلالي :تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.س. ن.
- الملي مبارك بن محمد الهلالي :تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م.
- المتولي الشعراوي محمد: سيرة بيت النبي صلى الله عليه وسلم، المكتبة التوقفية ، القاهرة، مصر، د.س.
- ضيف بشير بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائر: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م.

- هاملتون ألكسندر روسكين كُتب: علم التأريخ، تر إبراهيم خور شيد وآخرون ط4، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م.
- فوسي جون كوب هيرنشو: علم التاريخ، تر: عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1937م.
- ضيف بشير بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائر: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ط2، منشورات ثالثة ، الجزائر، 2007م.
- عقاب محمد الطيب: مدخل إلى العمارة الجزائرية قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2009م.
- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة، 2002 م.

ب- المقالات:

- العرباوي المختار محمد : "هل كلمة البربر شرقية عربية" ، مجلة اللغة العربية ع 25 ، 2010،، ص ص {282 - 257}.
- العقيد ميمن داود: "الهجرة الأندلسية ودورها في بناء القوة العسكرية للجزائر ما بين 1492-1610م"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جانفي 2020م { 62 - 74 } .
- بن عتو بلبروات: "أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، م1، ع1 ، 2009م. {74- 82} .
- بن عدي محمد: "معمر العايب: الحياة الاجتماعية بتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني 1518-1830"، مجلة الدراسات التاريخية، م 23، ع 2، 2023م، {468- 437}.
- بن قويدر سامية: "مظاهر التأثير الحضاري العثماني على عمارة مدينة الجزائر"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، م 14، ع 5، 2022م { 67. 90 }.

- بن عتو بلبروات: "الهيكل القاعدية لتجارة مدينة الجزائر خلال العهد العثماني" المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، م3، ع5، جوان 2017م { 216 . 129 }.
- بوبكر هشام: عياش بلقاسم: "جوانب من الحياة الديمغرافية الاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية دراسة سوسولوجية تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكونة للمجتمع الجزائري"، مجلة آفاق للعلوم، ع7، مارس 2017، { 303- 290 } .
- بوتشيشة علي: "المسكن في الجزائر خلال العهد العثماني ؛ دراسة في عناصره المعمارية"، مجلة الدراسات الأثرية، م19، ع1، 2021م، ص { 112 . 87 } .
- بخوش صبيحة: "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع9، 2015م، ص { 150 - 135 } .
- بن جدو عبد الفتاح: "مظاهر العمران بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني" مجلة البحوث التاريخية، م6، ع2، ديسمبر 2022 م، ص { 456 . 440 } .
- بلعيد عزالدين: "التجارة الخارجية للجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية والأثرية، م، ع 301/04/2023 م، ص { 117 - 103 } .
- بوطي جمال، عبد الكامل عطية: "الهجرة الأندلسية ودورها في تنشيط الحركة الصناعية على مستوى البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، م13، ع2، سبتمبر 2022، ص { 339-357 }.
- بن جدو عبد الفتاح: "نظرة على الصناعة والحرف بالجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية الجزائرية، م6، ع2022، 1 م، ص { 515 - 504 }.

- بوجلال قدور: "المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع31، 2017م، ص {235 - 267}.
- بودريعة ياسين: "الزوايا والسلطة خلال العهد العثماني مدينة الجزائر نموذجا" مجلة معارف، ع23، ديسمبر 2017م، ص {76 - 94}.
- بوشريط أمحمد: "ابن الفكون وإسهاماته في التأليف: منشور الهداية "أنموذجا" مجلة العصور الجديدة، ع18، 2015م، ص ص {89 - 103}.
- بوشيبة ذهبية: "العلوم العقلية والفنون في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة متون، ع4، ديسمبر 2017م، ص ص {115 - 145}.
- بوشيبة ذهبية: "العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع3-4، الجزائر، 2021م، ص ص {118 - 143}.
- تلي رفيق: "أسوار وأبواب مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، م15، ع2، ديسمبر 2021م، ص {19 - 34}.
- تيته ليلي: "تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع17، جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر، ص ص {137-146}.
- جاختي قاسم: "إسهام السنوسي والمغيلي في إحياء علم الكلام الأشعري والفقه المالكي ونشره في بلاد المغرب العربي وغرب إفريقيا"، مجلة المفكر، م3، ع1، 2019م، ص ص {53 - 63}.
- حصاد عبد الصمد وآخرون: "التعليم ومناهجه في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، م15، ع2، 2021م، ص ص {97 - 128}.

حمداوي محمد راشدي بن يمينه : "أشراف الجزائر : المكانة والأدوار"، مجلة الرواق، 4، ع 1، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، جوان 2018م ، ص ص { 285 - 296 } .

خيراني ليلي : "نساء مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني"، مجلة العلوم الإنسانية، م 25، ع 2، جامعة الجزائر 2 جوان 2014 م. ص ص { 7 - 27 } .

- دباب زهية ، وردة برويس: "السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية"، مجلة العلوم الإنسانية، م 21، ع 1، 2021م ، ص ص { 171 - 187 } .

- دحوح عبد القادر: أسواق مدينة قسنطينة من خلال الفترة العثمانية، مجلة دراسات في أثر الوطن العربي، ص ص { 629-648 } .

- رقاد سعدية: "الحواضر العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني"، مجلة عصور الجديدة، ع 23، أوت 2016م ، ص ص { 363 - 380 } .

- زاوي هوارية: "جهود علماء تلمسان في التفسير خلال العهد العثماني"، مجلة الاستعاب، ع 3، سبتمبر 2019 م ، ص ص { 127 - 148 } .

- سعداوي ليلي : "المرأة الجزائرية وتحديات النسق الإجتماعي خلال العهد العثماني دراسة مقارنة بين المرأة الريفية والحضرية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 9، 2022 م ، ص ص { 60 - 79 } .

سعيدوني ناصر الدين: "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري من القرن السادس عشر إلى حتى القرن التاسع عشر الميلادي" حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ع 31 ، كلية الآداب جامعة الكويت، 2010 ، ص ص { 8 - 138 } .

- سعيدوني ناصر الدين: "فحص مدينة الجزائر (نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)"، مجلة الدراسات التاريخية، م 1، ع 1، 1986م. ص ص { 91-99 } .

- شكري رشيدة معمر، "التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة معارف، م 16، ع2، ديسمبر 2022م، ص ص { 988 . 1009 } .
- شكري معمر رشيدة: "المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830"، مجلة معارف، ع 20، جوان 2016م، ص ص { 91 - 110 } .
- شعباني بدر الدين: "مدينة قسنطينة في العهد العثماني الأصالة والتراث" مجلة دراسات، م 7، ع1، 2020م، ص ص { 76 - 113 } .
- شريط ايمان حمدادو بن عمر: "النساء الحضر والنشاط الحرفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية على ضوء الكتابات الأجنبية"، مجلة عصور جديدة، م10، ع2، جوان 2020م، ص ص { 266 - 275 } .
- شنعة خديجة : "إشكالية أصل البربر"، مجلة المرأة للدراسات المغربية، ع 3 جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015 م، ص ص { 213 - 222 } .
- صحراوي عبد القادر: "الأسواق في مدينة الجزائر وأنظمة التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون أسواق الجزائر"، مجلة الحوار المتوسطي، ع1، 2009م، { 83 - 93 } .
- صغيري سفيان: "موقف أبو العباس المقرئ من بعض القضايا السياسية في المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ / 17م"، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، م5، ع1، جانفي 2023م، { 484 . 498 } .
- صغري سفيان، قصيدة رشيد: "إسهامات العلامة أبو العباس أحمد المقرئ في النشاط التعليمي في المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ / 17م"، مجلة الإحياء، م 21، ع 29، أكتوبر 2021م، { 523 . 540 } .
- طيان شريفة: "فن التطريز الحريري في العهد العثماني"، معهد الآثار، ع 6 جامعة الجزائر، 2007م، { 119 - 126 } .
- الطيب زين العابدين: "دراسة جغرافية وسكانية قبيل الفتح الإسلامي"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، م8، ع1، ديسمبر 2015م، ص ص { 8 - 23 } .

- فتيسي نادية: "الطب في العهد العثماني من خلال رسائل المجموعة 1641- رسالة صالح باي إلى وكيل الباستيون رقم 53" نموذجاً، المجلة التاريخية، م6 ع2، 2022م، ص ص { 339 . 325 } .
- قريشان عبد القادر: "الجماعات البشرية الوافدة على مدينة الجزائر خلال العصر الإسلامي الوسيط"، المجلة التاريخية الجزائرية، م5، ع1، 2021 { 237 - 214 } .
- كروم عيسى: "إمارة بني سليمان في المغرب الأوسط بين الوجود والنسيان 172 هـ 342/789-953م"، مجلة الدراسات التاريخية والأثرية والتراثية ع24، جامعة قسنطينة، ديسمبر 2012، صص {147-137}
- لزغم فوزية: "الطب والأطباء بمدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال كتاب " الطب الشعبي الجزائري بداية الإحتلال "لألبر فون شونبيرغ"، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ، ع 21 ، د. س. ن، ص ص { 130 - 106 } .
- لزغم فوزية: "أثر الأندلسيين في الحياة العلمية والدينية والأدبية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، م17، ع خاص، جانفي 2022، { 791 - 760 } .
- مباركي نادية: "إطلالة تاريخية على التجهيز المائي بمدينة الجزائر ومرافقا المائية خلال العهد العثماني"، مجلة دراسات تراثية، م7، ع 1، 2017م، ص ص { 172 . 135 } .
- نفطي وافية: "مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة آفاق فكرية، م5، ع10، ماي 2019م، { 50 . 20 } .
- نقروش حميد: "في أصول الظاهرة المرابطية في منطقة القبائل، نظرة حول المفاهيم الرباط، المرابط، الظاهرة المرابطية، الشريفة، والفقهاء"، مجلة آفاق مج 6، ع 2، 2018م، ص ص { 224 - 202 } .
- نواري خولة: " نظرة حول المجتمع الحرفي والصناعي بمدينة قسنطينة في العهد العثماني"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، م2، ع1، جانفي 2019م، ص ص { 294 - 276 } .

- نواصر نصيرة : "لمحات عن الوضع التجاري في إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة البحوث التاريخية، م 6، ع 2 ديسمبر 2022م، ص ص{509-492}.

- وانس صلاح الدين: "إدعاء النسب الشريف بين التوظيف الديني و الإستغلال السياسي"، مجلة آفاق فكرية، م 4، ع 9، أكتوبر 2018م، ص ص {262 - 246}.

ج- الرسائل الجامعية

- أمقران ليلي : الحياة اليومية بمدينة الجزائر من خلال سجل التركات، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2016/ 2017م.

- الواليش فتيحة : الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 1993 - 1994م .

- بن يوسف مفيدة: الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني في القرنين 16 17م، مذكرة ماجستير تاريخ حديث و معاصرة ، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر2 .

- بلغيث عبد القادر: الحياة السياسية والإجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، 2014/2015م.

- بلعمري فاتح : الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، مذكرة لنيل شهادة الكتوراه، كلية الأدب والحضارات قسم التاريخ جامعة عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة الجزائر، 2016-2017م.

- بن كردة زهية: أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر دراسة تحليلية، رسالة لني لشهادة الماجستير في الآثار الإسلامية كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 1999 / 2000 م .

- بن عتو بلبرאות : المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2007م .
- دلباز محمد : الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه ،كلية العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة جلالى اليابس ، سيدي بلعباس ، 2014/ 2015 م.
- شويتم أرزقي : المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1830-1700م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2005 2006م.
- صرهودة يوسف: الإقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر 1700-1830م، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ والآثار، 2017/2018م.
- طالي معمر سميرة: القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري ، رسالة لنيل شهادة ماجستير قسم تاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010م.
- ميسوم ميلود: مدرسة مازونة، دراسة تاريخية فنية ، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر، 2002-2003م .
- غطاس عائشة : الحرف والحرفين بمدينة الجزائر 1700 1830 م مقارنة اجتماعية اقتصادية، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر، 2000-2001م .
- لزغم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246 1520-1830م) ، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، 2013 / 2014 م .
- درياس لخضر: المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1989-1990م.

د- المحاضرات:

- بغداد مخلوفي: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مقياس تاريخ الجزائر الحديث السداسي الرابع السنة الثانية ليسانس تخصص تاريخ عام، جامعة نور البشير الأبيض، 2015/2016م.

- موسم عبد الحفيظ : محاضرات في التركيبة السكانية للمدن الجزائرية خلال العهد العثماني الكراغلة والحضر، مقياس المجتمع الجزائري وفعاليته، السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ حديث جامعة سعيدة، الجزائر.

ه- الموسوعات:

- سابان سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.

و- المواقع الإلكترونية:

-تعريف و معنى الحضر في معجم المعاني الجامع [http // www .almaany](http://www.almaany.com) .com اطلع عليه 7 أفريل 2023 على الساعة 23: 58 .

- الاء صلاح : من هم الحضر ، <http://amwdooa.com>، اطلع عليه 14 مارس 2023م ، على 21:33 سا

فهرس المحتويات

الإهداء

الشكر و التقدير

مقدمة أ - ج

الفصل الأول : طبقة الحضر

المبحث الأول : مفهوم الحضر 4

المبحث الثاني : التركيبة الديمغرافية والعناصر المشكلة لسكان الحضر 10

المبحث الثالث : أصولهم العرقية وتوزيعهم الجغرافي 21

خلاصة الفصل : 37

الفصل الثاني : إسهامات الحضر في المجال الإقتصادي

المبحث الأول : في المجال الزراعي 39

المبحث الثاني : في المجال الصناعي 49

المبحث الثالث : في المجال التجاري 63

خلاصة الفصل : 72

الفصل لثالث : إسهامات الحضر في المجال الثقافي

المبحث الأول : المراكز العلمية ومناهج التعليم 76

المبحث الثاني : الحضر و حركة التأليف 86

المبحث الثالث : الفنون عند سكان الحضر 103

خلاصة الفصل : 116

الخاتمة: 119

الملاحق: 122

البibliوغافية 134

الفهرس.